

جامعة الانبار  
كلية التربية للعلوم الإنسانية  
القسم العلمي: التاريخ  
المرحلة الدراسية: الثانية  
المادة: اوربا في عصر النهضة

---

محاضرات مادة: أوربا في عصر النهضة

المحتويات :

- 1- مقدمة في عصر النهضة الأوروبية .
- 2- اسبانيا في عهد فيليب الثاني .
- 3- إنكلترا في القرن السادس عشر .
- 4- إنكلترا في القرن السابع عشر .
- 5- الثورة الجلية .
- 6- الحياة الفكرية في إنكلترا في القرن السابع عشر .
- 7- فرنسا في عهد أسرة آل بوربون .
- 8- فرنسا في عهد لويس الثالث عشر .
- 9- فرنسا في عهد لويس الرابع عشر .
- 10- حرب الثلاثين عاماً .

## عصر النهضة :The Renaissance

يطلق على عصر النهضة ( البعث الجديد ) أو ( الإنبعاث ) أو Renaissance ( الولادة الجديدة )، وهي مرحلة أنتقال بين العصور الوسطى والحديثة، ويرى بعض المؤرخين أن العصر الحديث ذات طابع مميز عن العصور الوسطى لما تميز به العصر الحديث من سمات النهضة على عكس العصور الوسطى.

لم يظهر عصر النهضة في أوربا مرة واحدة في أنحاء أوربا، بل كان إنبعاثه بشكل تدريجي، إذ أن إيطاليا سبقت الدول الأوروبية في النهضة والتي بدأت قبل منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، في حين لم تظهر النهضة في إنجلترا إلا في الربع الأخير من القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، وسبقتها فرنسا بعض الشيء، أما روسيا فتأخر دخولها العصور الحديثة الى القرن الثامن عشر، وفي إيطاليا توقفت النهضة نهاية القرن السادس عشر؛ بسبب تعرضها للغزو الفرنسي

على يد الملك الفرنسي شارل الثاني سنة (1494م) الأمر الذي تسبب في خراب كبير لأيطاليا وتأخرها عن ركب الحضارة التي سبقتها لاحقاً الدول الأوروبية.

يتبادر الى الذهن سؤال وهو لماذا ظهرت أولى بوادر النهضة الحضارية في أيطاليا قبل غيرها من دول اوربا؛ إذ ان إيطاليا كانت مركز الأمبراطورية الرومانية ونواتها وعليه فأن سقوط هذه الأمبراطورية لم يؤدي بأيطاليا الى التحول نحو الأقطاع بشكل تام كما حدث في فرنسا وألمانيا على سبيل المثال، فقد حافظت مدن إيطاليا على مظاهر الحياة المدنية ونشطت فيها التجارة والطبقة الوسطى، في الوقت الذي أطبق نظام الأقطاع بزمامه على غربي أوربا، وهنا نقول بأن مدن إيطاليا بقيت فاعلة مثل : البندقية، وجنوة، و نابولي، وبيزا، وفلورنسه التي شكلت امارات إيطالية مستقلة، وبلا شك فأن قرب المدن أنفة الذكر من الأمبراطورية البيزنطية ووقوعها على خطوط التجارة الدولية ابقى لها بعض صناعاتها ونشاطها التجاري، مما زاد في قدرتها على مقاومة التحول نحو الأقطاع، وفي مثل هذا الواقع الذي ألغى الحاجة الى الأقطاع ومبرراته في أنهيار السلطة السياسية وحاجة الفرد الى الحماية بالجوء الى القوى، وبناء على ذلك فقد بقيت مدن إيطاليا وحدها قادرة على حمل لواء البعث الجديد في اوربا بوجه الأقطاع، ويساعدها عدة عوامل في ذلك :

1- بالرغم من سقوط الأمبراطورية الرومانية فأن شعلة تلك الحضارة لم تنطفأ بل بقيت في شبه الجزيرة الإيطالية أيام العصور الوسطى، رغم ماتعرضت له البلاد من انحطاط وتدهور بعد أنهيار الإمبراطورية الرومانية، فقد بقيت معظم أثارها من الأبنية الشاهقة والمنشآت والجسور والتماثيل والمخطوطات العلمية والأدبية، الأمر الذي كان يدعو نفوس الايطاليين للفخر والأعتزاز بالماضي الحضاري العريق، فكانت اثاره شاخصة تمنى النفس بالعودة الى ذلك الماضي الحضاري العريق.

2- كان الإيطاليون يشتغلون بالتجارة والنقل البحري أيام الحروب الصليبية مما جعلهم يجمعون (المال والذهب) فمكّنهم ذلك الأكتناز من القيام بحركة النهضة والانبعاث، كما أصبحت هذه المدن مركزاً لنقل التراث والثقافة العربية الإسلامية ومدارسها الفلسفية الى اوربا إضافة الى الاهتمام بالثقافة اليونانية التي عرفوها عن طريق العرب.

3- التنافس ( التجاري والاقتصادي) بين امراء المدن الإيطالية والطبقة الوسطى فكان ذلك أيداناً بالتعصب المحلي لكل مدينة أو منطقة إيطالية وبدى ذلك واضحاً مطلع عصر النهضة، حيث تنافس هؤلاء على صرف المبالغ الكبيرة لتشجيع الاداب والعلوم والمساهمة في إنشاء المكتبات العامة والخاصة ورعاية الفنون كالنحت والتصوير والعمارة، فحصل

الكثير من الفنانين والادباء والمؤرخين على رعاية الأمراء مادياً ومعنوياً؛ مما دفعهم أن يقدموا نتاجاً أفضل وأوفر .

قامت فلسفة العصور الوسطى على انكار قيمة الإنسان كعقل وروح وجسد له حقوقه الإنسانية مثلما عليه واجبات، فحتى يحافظ النظام الاقطاعي في العصور الوسطى كان لابد ان يلغي حقوق الإنسان في التطلع الى الأفضل، وكانت الكنسية تساعد الأقطاعيين في أنكار الذات مؤكدين ان الآخرة هي الهدف ولا قيمة للدنيا... فلم يكن هناك دافع للفرد أن يكتب أو يبدع أو يبتكر بل كانت الأعراف والتقاليد تحطم كل ذلك .... جاءت فلسفة عصر النهضة لتلغي كل ذلك من حيث التأكيد على الإنسان ودوره في الحياة .

**عرف بوركهارد عصر النهضة :** بأنه حقبة تاريخية أكتشف فيها الإنسان ذاته دون أن يعادي عقيدته الدينية .

**كما أكد سير غوره أن عصر النهضة :** هو فصل الدين عن الدولة أو التوفيق بينهما في حركته.

وعلى أية حال فقد أنصف عصر النهضة بالطابع العلماني بعيدا عن نفوذ الكنيسة الكاثوليكية وتوجهاتها، وساعد في ذلك انتقال المجتمع من الريف الى المدينة حيث المال والتجارة؛ مما أصعب بشكل واضح دور الكنيسة في السيطرة على عقول الناس وأفكارهم، لكن لم يمنع ذلك من معاقبة الكنيسة بعض من فلاسفة النهضة بالحرق بالنار بحجة الكفر والإلحاد والتجاوز على الأعراف والتقاليد، وعلاوة على ذلك فقد ظهرت أفكار عميقة تمس قضايا الكنيسة فكان لها الأثر في الإصلاح الديني .

وبضوء هذه المقدمة المهمة لتاريخ عصر النهضة، سنستكمل تاريخ اوربا في عصر النهضة بدءاً من تاريخ أسبانيا في القرن السادس عشر وحيثياتها، وعوامل إنحلالها، فضلاً عن تاريخ فرنسا في عهد أسرة آل بوربون، وصولاً الى حرب الثلاثين عام، أسبابها، مراحلها، نتائجها .

**فيليب الثاني :**

ولد فيليب الثاني ابن شارلكان سنة 1527، وتولى عرش اسبانيا وعمره 29 سنة، وكان متديناً، وهو من المدافعين عن الكاثوليكية، ولم يميز فيليب الثاني بين المصالح الكاثوليكية والإسبانية بل جعلها شيئاً واحداً، وكان فيليب بيروقراطياً يريد أن يهتم بكل شاردة وواردة ولا يرغب بمغادرة مكتبه علاوة على رغبته بأن يحكم العالم من مكتبه عكس والده الذي جاب أوروبا .

لُقّب فيليب الثاني بـ " بالملك الراهب "؛ لزهده في الحياة، حيث كان يكره الأبهة، بنى فيليب الثاني عاصمته الجديدة ( مدريد )؛ علماً أن هذا الموقع لا يتميز بأي شيء يذكر سوى إنه يقع في مدريد .

لم يكن فيليب كثير الاستقرار في مدريد، إذ بنى قصره في أسفل سلسلة جبال وادي الرملة وعلى ارتفاع 1000 متر، سكن فيليب الثاني في القصر مع القديس لوران وأسكن معه الرهبان ونقل فيه توابيت أعضاء أسرته، وكان فيليب يلبس السواد، ويقرأ كتاب الصلوات بشكل يومي، ويحضر القداسات الرهبانية في كنسية القصر .

كان فيليب الثاني ملكاً "كاثوليكياً" و ملكاً " بيروقراطياً"، يتطلع الى الحكم المطلق، وكانت مجالس "الكورتز" ( البرلمانات) موجودة في مختلف الممالك التي تتألف منه أسبانيا مثل : قشتالة وفالنس واروغونه وغيرها، وفي الممتلكات الخارجية وخصوصاً في البلاد المنخفضة، لقد كان فيليب الثاني يحاول الحد من الحريات المحلية وألا يعقد مجلساً؛ وذلك رغبته في أن يدرس كل شيء بنفسه ويقرر بنفسه ايضاً، وكانت المجالس تساعده لكنه في الواقع يحكم بمفرده مع عدد من قريبه .

لقد كان لمحاكم التفتيش دورها في متابعة ومحاكمة الهرطقة البروتستانتيين وتنفيذ الأحكام فيهم بشكل علني في الساحات العامة وأحياناً تنفيذ الأحكام بحضور فيليب الثاني، لقد استمرت الأضطهادات عشر سنوات، ولم يتبقى بروتستانتني واحداً في أسبانيا، اما العرب المدجنون الذين بقوا في اسبانيا بعد استرداد الفتح الاسباني واجلاء العرب عنها فكان عددهم 500,000 الف نسمة، وقد ارتدوا عن دينهم ظاهراً ورسمياً، وكان أغلبهم فلاحيين وصناعاً، وكان السكان يحقدون عليهم، حتى ان فيليب كان يشك في حقيقة اعتناقهم الكاثوليكية التي أجبروا على إعتناقها؛ فاضطهدهم وبعثر قواهم.

شهد عام 1609 إجلاء العرب من اسبانيا، مما الحق بالبلد أضراراً فادحة؛ بسبب نقص الأيدي العاملة الماهرة؛ لكنه حقق غايته في تحقيق الوحدة الدينية، متجاهلاً مصلحة البلد في حاجتها للصناع والعمال.

لم تكن حالة البلد المالية والإقتصادية على درجة من الأهمية التي بلغها الحكم المطلق، لقد كانت اسبانيا قوية وغنية بنفس الوقت، لأن السفن كانت تأتيها من أمريكا بالذهب البيرو والفضة، وتنزل الحمولة في أرصفة قانس وأشبيلية، لكن البلاط والإدارة والجيش والحملات العسكرية الخارجية كلفت الخزينة المالية، ونفقات الدولة المتنوعة أثقلت الميزانية؛ ولتدارك الوضع قرض فيليب الثاني على إيطاليا والبلاد المنخفضة بالضرائب.

أما أسبانيا كانت فقيرة الموارد، فهي تتألف من كتلة جبلية صخرية وهضاب ومناخها جاف، وسهولها الزراعية نادرة، والنشاط الأساسي يقوم على تربية الحيوانات والماعز الذي جعل من اسبانيا اشهر الدول المصدرة للصوف.. وكان في اسبانيا عدة صناعات، أهمها الحرير والصوف لكنها أفلت، وبقيت التجارة التقليدية في الأسواق الكبرى نشيطة في موانئ اسبانيا.

فيما يخص المجتمع .. فكان فقيراً، نبيلاً، كريماً، لكنه متعطر بنفس الوقت، وكان سكان اسبانيا قليل جداً، يقدر بـ سبعة ملايين نسمة، ويمكن القول بان عدداً من الاسبان هاجر الى الهند، وكانت اسبانيا تضطر أن تشتري كل شيء من الخارج لتعيش وتؤمن حياتها.

## سياسة فيليب الثاني الخارجية

### كفاح المسلمين والسيطرة على البحر المتوسط :

حقق فيليب الثاني نجاحاً في كفاح المسلمين والسيطرة على البحر المتوسط، ففي اسبانيا وجزر الباليار وإيطاليا التي يحكمها، جعل من غربي البحر المتوسط بحراً اسبانياً، فقد كان يقيم في ميلانو ونابولي وصقلية، وله حاميات على شواطئ طوسكانا ويمارس نفوذه على كل إيطاليا، الى ان جمهورية البندقية تخلصت من نفوذ فيليب الثاني، وظلت ميناءً كبيراً وموطناً لحضارة مشرقة لكنها أفلت، وأصبحت سيطرتها على شرق البحر المتوسط ضعيفة ومهددة بعد أن استقر الأتراك العثمانيون على شواطئه.

بسط فيليب الثاني نفوذه على جزء من المتوسط، وكان يريد في نفس الوقت ان يكافح الاتراك العثمانيين ويظهر المتوسط من " قرصان البربر" اللذين كانوا ينطلقون من شواطئ افريقية الشمالية ويضايقون المواصلات حتى الشواطئ الأسبانية .

شن فيليب الثاني " حبيراً صليبية "، حقيقية "كفاح الصليب الهلال"، وأعد لذلك اسطولاً كبيراً مؤلفاً من 200 سفينة حربية اسبانية وبنديقية وجنوية، وأحرز نصراً مبيناً على الاسطول التركي في ليبانت سنة 1571.

## ضم البرتغال

بعد وفاة ملك البرتغال دون وارث سنة 1580 وبذلك اصبح فيليب الثاني ملك على البرتغال وهذا الضم وحد الأمبراطوريتين البرتغالية والاسبانية لمدة ستين عاماً وجعل اسبانيا مهيمنة على العالم .

كانت لدى فيليب الثاني رغبة في أن يمد نفوذه الى البلاد المسيحية كافة، ويسحق الإصلاح البروتستانتي وينصر الكاثوليكية، لكنه لم يحقق طوحيه.

لقد كانت البلاد المنخفضة غنية وأهله بالسكان وبالنشاط، وتعد من أهم المراكز الاقتصادية الكبرى في اوربا، وتشتهر بالزراعة وصناعة الصوف، وتجدر الإشارة الى ان شارلكان يحترم البلاد المنخفضة ويحترم حريتها، ولم يولي أحداً من الاسبان فيها.

أما فيليب الثاني على العكس كان اسبانياً بإمتياز فقد امتد بحكمه الى البلاد المنخفضة وحكمها اسبانيين وابطاليين وغيرهم، مما أثار الأمراء حوله وقاوم تقدم الكالفنية بالاضطهاد الشديد وعرفت هذه الثورة باسم (( ثورة المعوزين )) وكانت ثورة مزدوجة ( قومية - دينية).

أقام فيليب في الأراضي المنخفضة نظاماً أرهايباً، ارسل في عام 1576 دوق الب الى بروكسل وأقام محكمة الشغب التي يوجهها الاسبان، وأكثر من الإعدامات، وأوقف أميرين كبيرين واعدمهما في ساحة بروكسل الكبرى عام 1568، كما أعدم 8000 شخص بين عامي 1567-1572، ولكن هذه الفضاعات التي قام بها دوق الب أفقدته اعتباره وتم استدعائه الى اسبانيا عام 1573، وفي عام 1579

أبرم جنوب البلاد المنخفضة الصلح في غاند وبقي في أكثريته كاثوليكياً، أما شمال البلاد فقد تابع ثورته بدافع من غليوم الملقب بـ (غليوم الساكت) أو (قليل الكلام).

في نفس الوقت الذي تم فيه صلح غاند جرى " اتحاد اوترخت " وبموجبه ألغيت الأقاليم السبعة في شمال البلاد المنخفضة وأهمها : هولندا، وجمهورية الأقاليم المتحدة، وترأسها "مجلس الدولة العام" وأعلن في 1581 سقوط فيليب الثاني، وتلى ذلك حرب ضارية بقيادة الكسندر فارنيز عن الجيش الكاثوليكي الأسباني، وحقق بعض النجاحات ورأى غليوم اورانج ان الحرب غير متكافئة فتماسك ولكنه قتل في العام 1584 في دلفت من قبل أحد أتباع أو رسل فيليب الثاني، وفي سنة 1609 حاصر فارنيز شمال البلاد، و بعد توقيع هدنة "الأثني عشر عاما" اضاعت اسبانيا شمال البلاد المنخفضة بصورة نهائية.

بدى واقعاً أنقسام البلاد المنخفضة تبقي الجنوب ( بلجيكا ) الحالية، كاثوليكياً واسبانياً، وغدا الشمال جمهورية تجارية .

## التدخل في إنكلترا

كان تدخل فيليب شؤماً، إذ رغب فيلب بإزاحة الملكة اليزابث عن العرش ليقم مكانها ملكة ايكوسيا (اسكتلندا ) الكاثوليكية ماريا ستيوارث.

من جهة ثانية تقدمت التجارة والاسطول الإنكليزي واخذا ينافسان اسبانيا في المحيط الأطلسي، ودعا نبأ اعدام ماريا ستيورات عام 1587 فيليب الثاني الى القيام بحملة ضد إنكلترا وضم الاسطول الاسباني 130 سفينة تحمل 300,000 الف مقاتل واطلق على الاسطول حملة ( ارمادا الذي لا يقهر )، غير ان القيادة كانت سيئة، وضاعفتها العاصفة، تم تدمير الاسطول الاسباني على يد الرياح والانكليز والهولنديين ولم ينجوا سوى 50 سفينة استطاعت العودة الى اسبانيا بعد الهزيمة ولم يعد بالإمكان مهاجمة إنكلترا ؛ ومن الأسباب التي دعت الى الحرب هو التدخل البريطاني في الصراع بين هولندا واسبانيا وهجمات لصوص البحر الانجليز على الممتلكات والسفن الاسبانية، ونتيجة لذلك تصاعدت

العلاقات الأنكلو - اسبانية الى اقصى حد.. أذ انتهت الحرب بهزيمة الاسطول الاسباني الارمادا عام 1588 مما قلل من هيبة اسبانيا .

## التدخل في فرنسا

تدخل فيليب الثاني في فرنسا ليدعم العصبة ويثير القلاقل لإضعاف الملكية المنافسة فقد تحالف مع العصبوين عام 1584 وأمدهم بالمال، وبعد مقتل هنري الثالث 1589 ارسل جيش فارنيز من البلاد المنخفضة لحماية فرنسا ضد هنري الرابع، حتى ان فيليب أراد ان يخرق " القانون السالي " الذي يمنع النساء من الحكم في البلاد ويضع في العام 1593 على عرش فرنسا ابنته ايزابيلا لكن ذلك لم يتم. بعد عدة سنوات من الحرب أخفق ملك اسبانيا من جديد واضطر الى عقد معاهدة ( فيرفن ) عام 1598 وبموجبها اعترف بهنري الرابع ملكاً على فرنسا، ومعاودة توطيد معاهدة كانو كامبريزي.

على الرغم من أن اسبانيا كانت أقوى في عهد فيليب الثاني من أي عهد آخر فإن أمارات الافول بدأت تظهر عليها، لكن مع ذلك كله خلف فيليب الثاني بعد وفاته عام 1598 بلداً قوياً في اوربا مكا يرى هو، لكن يبدو أن الواقع يقول بأن اسبانيا عانت الفقر والضعف وقلة السكان؛ بسبب الجهود العسكرية التي لم يتخللها أي هدنة أو استراحة أو ترفيه .

## العصر الذهبي

لقد كانت اسبانيا في عهد النهضة موطناً من مواطن التجديد الديني والإصلاح الكاثوليكي، كما أن للمسرح دوراً لافتاً في تشكيل الحضارة الأسبانية وشكلاً عظيماً من أشكال الأدب، وكذلك اشتهرت الروايات ومنها (المغامرة) كجزء من الادبيات، ولقد كان للفن دور هاماً في مختلف الميادين، حيث اشتهر فن بناء التزيين البرتغالي في اسبانيا، كما وأثر فن الباروك الإيطالي فن الإصلاح الكاثوليكي على البناء الاسباني ذي الأسلوب الغني بالتزيين.

ولقد وصف المصور لوغيكو اسبانيا في القرن السادس عشر بعمق حيث استطاع ان يجسد الصوفية والحماسة الشديدة في قشتالة .

## إنكلترا في القرن السادس عشر

خضعت إنكلترا سنة 1066 للنورمانديين الذين استوطنوا البلاد وامتزجوا مع أهلها وتصاهروا؛ فنشأ من وراء ذلك الشعب الإنكليزي الحديث، وظهر فيهم ملوك أقوىاء بسطوا نفوذهم الى فرنسا منتصف القرن الرابع عشر، مما أدى الى نشوب (حرب المائة عام) بين الإنجليز - الفرنسيين؛ بسبب غزو إنكلترا لفرنسا، وتم إجلاء الإنكليز بعد مائة عام.

بعد جلاء الإنكليز من فرنسا بسنتين حدثت حرب أهلية في أنكلترا عرفت باسم ( الوردتين ) 1455-1485؛ وسبب التسمية هو ان طرفي النزاع كانا يحملان نفس الشعار وهو الوردة، ونتيجة الحرب كانت فوز آل يورك على آل لانكستر؛ لكن ملك ال يورك ويدعى ريتشارد الثالث كان مرفوضاً من الشعب، مما أدى بإعتلاء العرش لشخص من آل لانكستر عرف باسم هنري السابع وأسمه الحقيقي (هنري تيودور).

## هنري السابع ( هنري تيودور )

يمثل عهد هنري السابع نهاية الحروب الإقطاعية الداخلية، وبداية للتقدم الاقتصادي، وعهد هنري السابع يمثل بداية عصر النهضة في إنكلترا بقيادة الطبقة الوسطى، فبدأ الإنكليز بالإستكشافات الجغرافية، وأحياء العلوم والإصلاح الديني والتجارة وجمع الثروة.

لقد تأثر هنري السابع بما كان سائداً في أوروبا آنذاك من أنظمة الحكم المستبدة التي ترغب بالحكم المطلق، لكنه لم يعلن ذلك بشكل صريح؛ لأن إنكلترا لها باع طويل في العمل البرلماني، فمنذ عام 1215 وقع الملك الإنكليزي على الصك المعروف ( الماكناكارتا ) : وهو من أهم الوثائق التي صدرت عن حقوق الإنسان ومن ضمنها ضمان حقوق الإقطاع في وجه الملك وحرية الكنيسة، وحقوق النساء وغيرها، فكان ذلك بداية لتقييد سلطة الملك وظهور البرلمان، فسعى هنري السابع الى اغراء أعضاء البرلمان ليكسبهم وليكونا أداة بيده، لذلك تميز عهد ال تيودور بضعف برلماني، وبدأت الأسر بالانهيار

بسبب الحروب الطويلة، وإخيراً فإن هنري السابع زوج أبنته " مارغريت " من ملك اسكتلندة؛ مما حذى به بالتفكير في توحيد المملكتين، والتي أصبحت فعلياً في مملكة واحدة في جزيرة واحدة تسمى " بريطانيا " .

## هنري الثامن

اعتلى عرش إنكلترا هنري الثامن ابن هنري السابع بعد وفاة الأخير (1509-1547)، وأهم ما يميز حكم هنري الثامن هو : **قيادته لحركة الإصلاح الديني، والذي لاقى استحسان من قبل الشعب الأنكليزي، مما جعل البرلمان أداة بيد هنري الثامن ينفذ رغباته ومشاريعه دون اعتراض.**

لم تكن حركة الإصلاح دينية بحتة بل إقتصادية وسياسية، إذ أن هنري الثامن لم يكن يؤمن بالبروتستانتية ومنحه البابا لقب ( المدافع عن العقيدة ) ،ومن أهم الدوافع التي جعلت هنري الثامن يتبنى حركة الإصلاح الديني في بلاده :

- 1- دوافع شخصية، ومنها رغبته بالزواج من إحدى سيدات البلاط واسمها آن بولين لأن زوجته لم تنجب له ولداً، فرفض البابا في روما ذلك الزواج .
- 2- الرغبة الجماهيرية بزوال سلطة روما ( الكنيسة ) من إنجلترا، لأن ذلك سيدعم سلطة هنري الثامن ويكون الشعب يدين بالولاء له، وبلا مشاركة السلطة الدينية .
- 3- الإستفادة من الأموال التي كانت ترسل الى كنيسة روما .
- 4- فساد رجال الكنائس والأديرة .
- 5- الشعب كان مهياً لتأييد هنري الثامن في مساعيه للحفاظ على الأستقرار بعد معاناة كبيرة جراء حرب الوردتين .
- 6- وقوف البرلمان مع الملك هنري الثامن .

من الجدير بالذكر أن البرلمان أنشغل لسنوات في وضع قوانين تعزز حركة الإصلاح الديني بغية إصلاح مفاسد الكنيسة وأخضاعها للملك؛ ونتيجة لذلك تمكن من الزواج من آن بولين بعد أن طلق زوجته التي لم تنجب له ولداً، ولم يهتم بقرار البابا الذي رفض ذلك الزواج.

اصدر البرلمان سنة 1534 ( قانون السيادة العليا ) : مضمونه بأن الملك هو الرئيس الأعلى للكنيسة الإنجليزية، ومعاقبة كل من يتعرض لحق الملك في ذلك، كما أصدر قانون حل الأديرة الصغيرة.

كما أنشأ هنري الثامن اسطولاً قوياً وخاض عدة حروب ضد فرنسا، ونجح في دمج بلاد الغال (ويلز)

بإنكلترا وحاول ضم اسكتلندة الى التاج الإنجليزي لكنه فشل.

كما أصدر قانوناً اصبح بموجبه ابنه أدورد ولياً للعهد وتخلفه أبنته ماري واذا لم يكن لها وريث فيخلفها على العرش اختها اليزابث ابنته من آن؛ وعرف ذلك ( بنظام الوراثة ) .

## حكم الوراثة

لقد صحت كل توقعات هنري الثامن وحكم جميع الذين ورد ذكرهم في قانون الوراثة ... أستلم ابنه أدورد سنة 1547 باسم أدورد السادس وعمره كان 10 سنوات وأصبح خاله وصياً عليه، وشهد عهده موجات مناهضة للكاتوليكية ومساندة للبروتستانتية؛ لأن الملك نشأ على المذهب البروتستانتية، فأغلقت الكثير من الكنائس الكاثوليكية، ثم خلع الوصي وأعدم سنة 1552؛ بسبب إضراره بكبار الملاك، وتم تعيين غيره، إذ ألقى اللوم عليه بما حدث من تردي الاقتصاد، إذ أن الوصي كان يميل الى طبقة الفقراء التي تضررت بسبب طمع كبار الملاك الذين حولوا الأراضي الزراعية الى مراعي لتصدير الصوف، فنتج عن ذلك بطالة بين الفلاحين. مات الملك ادوارد وهو صغير؛ بسبب مرض معين، وتولت أخته ( ماري ) سنة 1552- 1558 وكانت متدينة كاثوليكية فاتخذت قرار بإعادة العلاقات مع الكنيسة في روما والغت القوانين التي صدرت في عهد أخيها، ثم تزوجت من فيليب الثاني ملك اسبانيا الكاثوليكي المتعصب، فقد غضب الشعب الإنكليزي؛ لأن ذلك الزواج معناه تبعية إنكلترا الى اسبانيا، مما أوجع ثورة عارمة بقيادة ( توماس ويت ) لكنها قضت على الثورة وبدأ عهد اضطهاد المذهب البروتستانتية مما دفع الإنجليز الى الدخول في المذهب .

ماتت ماري دون أن تتجب فخلفتها على العرش ( اليزابيث ) التي حكمت لمدة 45 عاماً  
1603-1558 وعهدها من الفترات الزاهية في التاريخ الإنجليزي وسمي منتصف القرن  
السادس عشر ( عصر اليزابيث ).

كانت اليزابيث قوية الإرادة وعادت للبرلمان بعضاً من سلطته، وكانت كفوءة مع رجال  
مقتدرين، وأرادت أن تطبع مع المذهب البروتستانتي ولم تتعجل في قطع العلاقات مع روما  
وكانت متزنة.

أصدرت ( قانون السيادة العليا ) الذي أكد على سلطة الملك الدينية والدنيوية، والزم رجال  
الدين ان يقسموا بالولاء للعرش وعدم الخضوع لأي سلطة أجنبية؛ الأمر الذي أنهى سلطة  
الكاثوليك في عهد ماري... أما ( قانون المذهب الواحد ) فقد أقر تعديلات دينية ترضي  
الكاثوليك والبروتستانت المعتدلين.

عارض البروتستانت المتطرفون قانون المذهب الواحد الذي جعل نظام الكنيسة كاثوليكي  
المظهر بروتستانتي العقيدة، كما تأمر الكاثوليك المتطرفون على حياة الملكة اليزابيث وذهبوا  
الى فيليب الثاني وبابا روما للتخلص من اليزابيث.

بدأت الملكة اليزابيث بدعم حركة البروتستانت في الأراضي المنخفضة وفرنسا، وعمد فيليب  
الثاني الى التدخل بشؤون ايرلندا لإثارتها ضد الانجليز، ولم تشأ اليزابيث أن تصطدم بملك  
اسبانيا وتطور الصراع ليأخذ أكبر من أبعاده الطائفية؛ لأن الصراع كان على التجارة أيضاً  
والحصول على مستعمرات في أمريكا، وبدأ الملاحون والمستكشفون يبحثون عن الذهب والفضة  
وبناء المستعمرات في أماكن اعتبرها الأسبان حكراً لهم وبدأت مهاجمة المستعمرات الاسبانية  
في القارة الأمريكية وتخريبها، وعاد السير فرنسيس دريك الى اليزابيث محملاً بالنفائس والذهب  
والفضة التي سلبها من السفن والمدن الاسبانية، اذ هاجم ميناء قادس ودمر السفن الاسبانية  
في السواحل الأنجليزية، وكان لإضطلاع فيليب الثاني بمحاولة اغتيال اليزابيث أثره في تطور  
الأوضاع مما دفع فيليب الى غزو إنكلترا، فجهز اسطولاً ضخماً اسمه ( الأرمادا ) الذي أنهار  
أمام الأسطول الإنجليزي وعاد الى اسبانيا، وكان ذلك إيذاناً بأفول نجم اسبانيا وتحولت اسبانيا  
الى بروتستانتيّة صرفة .

## إنكلترا في القرن السابع عشر

تميز نظام الحكم في إنكلترا في القرن السابع عشر بميزتين :

الأولى : انتقال العرش الى ملك اسكتلندة ( جيمس الأول ) بعد وفاة الملكة اليزابث سنة 1603 فتوحدت إنكلترا واسكتلندة لتظهر الى الوجود الدولة البريطانية تحت حكم ( آل ستيوارت ) .

الثانية : أحتدام الصراع بين آل ستيوارت والبرلمان البريطاني وعلى أثر ذلك حل شارل الأول البرلمان لمدة أحد عشر عاماً، لذلك تميز القرن السابع عشر بظهور الحكم المطلق في بريطانيا الذي حمل في مضامينه صراعاً طائفياً بين الكاثوليك متمثلين بآل ستيوارت والبروتستانت ممثلين البرلمان الذي يسمى ( مجلس العموم)، المنتخب من الشعب .

### جيمس الأول (1603-1625)

أراد جيمس الأول الأفراد بالسلطة دون البرلمان من خلال أحاديثه عن حقوق الملك الألهية في الحكم وكيف أن له الحق في إصدار القوانين دون الرجوع الى البرلمان، وأكد جيمس الأول في كتابه بأن الملك يستمد سلطته من الله الذي جعله أباً رحوماً للشعب، فعليه أن الملك مسؤول أمام الله وحده وليس لأحد من الشعب حق في محاسبته؛ وهو بذلك يمثل تقليداً اسكتلندياً عرفه آل ستيوارت في حكمهم ويسمى " نظرية الحق الألهي المطلق في الحكم" واستخدمته اسبانيا والنمسا وفرنسا.

وقف الشعب الإنكليزي ضد أفكار جيمس الأول التي تتعارض مع التقاليد الإنكليزية لكنه بقي مصراً على نهجه، واسنمر الصراع بينه وبين مجلس العموم لا سيما عندما حاول فرض ضرائب جديدة، فتجاهل البرلمان، وبدأ يأخذ قروضاً ومساعدات مالية خارجية، وفي سنة 1614 قرر حل مجلس العموم؛ لأنه عجز عن ترويضه وأخضاعه لرغباته ولم تجر أي انتخابات حتى سنة 1621 التي لم تسفر عن مجلس مطيع للملك .

### سياسة جيمس الأول الخارجية

سعى جيمس الأول الى توطيد علاقته بملك اسبانيا الكاثوليكية مما زاد في كراهية الإنكليز له، وزاد بغض الإنكليز له عندما أراد تزويج ولي عهده من اميرة اسبانية، لكنه تراجع، كونه لم يكن متعنناً بقرارته، مما أعلن الحرب على اسبانيا لاحقاً .

### شارل الأول (1625-1649) :

شارل الأول ورث العرش من جيمس الأول والده وسار على نفس النهج الذي سار عليه والده في تثبيت الحكم المطلق، لكنه لم يكن مرناً ومقتدرًا على التراجع مثل والده.

ونتيجة لحملاته العسكرية الفاشلة على اسبانيا وفرنسا أفلست الخزينة الإنكليزية؛ فاضطر شارل الى فرض الضرائب والقروض بدون موافقة مجلس العموم، وأمر بسجن كل من لم يقرض الملك؛ فتذمر الشعب ولاقى قبول لتذمره من مجلس العموم الذ اجتمع سنة 1628 وأعدوا وثيقة سميت " ملتمس الحقوق " : وتعتبر من وثائق الدستور البريطاني المدونة وطالبوا فيها بالاتي:

- 1- أن لاتجبي القروض والضرائب والهبات دون موافقة مجلس العموم .
  - 2- أن لايسجن أي مواطن ألا وفقاً لا قانون البلاد .
  - 3- أن لا يجبر الشعب على أيواء الجنود والبجارة في منازلهم مهما كانت الظروف .
- وبناء على ذلك وافق شارل الأول على الوثيقة على الرغم من أنه اعتبرها تجاوزاً على سلطته، وتأزم الوضع بين الملك شارل ومجلس العموم مما حذى بالملك بحل المجلس سنة 1629، وحكم شارل أحد عشر سنة حكماً مطلقاً .

### البرلمان الطويل

تأسس في سنة 1640 لتتمير فواتير مالية أثر حروب الأساقفة، وسمي بالطويل لأنه لايجل ألا بموافقة أعضائه الذين لم يحلوه حتى نهاية الحرب الأهلية سنة 1660.

سبق البرلمان الطويل برلمان قصير أستمر ثلاثة أسابيع وحله الملك؛ بسبب أستياء الملك من أعضاء البرلمان المطالبين برفع الظلم عن الشعب مقابل تدبير بعض المبالغ المالية للملك لتغطية حروبه وسد النقص والعجز المالي .

أخذ البرلمان الطويل قراراً ضد شخصيتين مكنهم شارل إذ حكم البرلمان بالسجن على ( ستارفورد) حاكم اسكتلنده الذي أخضعه شارل بالقوة للحكم المطلق، و أعدام الأسقف (لورد) وهو أكبر منصب ديني في الدولة الذي وضع كتاباً في الصلوات وفرضه بالقوة مما دفع الإنكليز الى الهجرة الى أمريكا تخلصاً من الأضطهاد الطائفي، كما وقف الاسكتلنديون المتعصبون للكفنية ضد كتاب الصلوات، وباتت الحرب وشيكة بين الملك والأسكتلنديين الأ أن حاجة الملك للأموال حالة دون ذلك .

كما وأجبر البرلمان الطويل الملك شارل بالتنازل عن حقه في حل المجلس، وأقر قانوناً فرض دعوة المجلس للأجتماع مرة واحدة كل ثلاث سنوات، وألغيت ضريبة السفن التي فرضت على جميع المواطنين، كما ألغيت المحكمة التي أستخمها " لود " لمحاكمة معارضي سياسته الدينية، كما أقر البرلمان قانوناً يفرض على المك أن يحصل على موافقة مجلس العموم عند تعيين مستشارين له .

السؤال هنا ما هو موقف شارل من ذلك؟؟

حاول شارل أستعادة سلطته مستغلاً الخلافات بين أعضاء مجلس العموم حول الإطاحة بحكومة الأساقفة المساندين للكاثوليكية وكان هؤلاء الأعضاء يشكلون أغلبية، بينما وقفت أقلية تدافع عن بقاء الكنيسة وهي تتوافق مع رغبة الملك شارل ... شعر أغلبية الأعضاء بأن المك يحيك مؤامرات ضد المجلس فاحتجوا عليه وعرف ذلك بـ ( الأحتجاج الأعظم ) سنة 1641، تم فضح مساويء الملك شارل وطالب المحتجون الوزراء بتلقي الأوامر من مجلس العموم ممثل الشعب؛ الأمر الذي أدى بشارل استعمال القوة ضد قادة الأحتجاج المعارضين له في المجلس بتهمة الخيانة مما اثار غضب الجماهير ضد الملك ففر شارل واسرته الى الريف، وأصبحت إنكلترا على شفا حر أهليه يواجهها جيش اسكتلنده.

### الحكومة الجمهورية :

حدث أنقسام بين الإنكليز حول الملك والمجلس، في النهاية انتصر كروميل قائد البروتستانت على شارل الأول سنة 1645 في معركة ناسيبي، وأعدم شارل سنة 1649 في ساحة الوايت هول أمام القصر الملكي في لندن.

أعلنت الجمهورية في الجزر البريطانية بعد أعدام الملك مباشرة والغى مجلس اللوردات، ووضع دستور جديد للبلاد أصبحت إنكلترا بموجبه جمهورية، إلا أن كروميل واقعياً حكم كما حكم شارل الأول وقام كروميل بحل مجلس العموم وحكم البلاد بشكل مطلق " حكم ديكتاتوري " معتمداً على جيشه القوي مدة خمس سنوات ... أما الأسكتلنديين فقد احتجوا على أعدام الملك شارل الأول معتقدين بأن ذلك عمل غير إنساني؛ فضلاً عن كونه من عائلة ال ستيوارت الاسكتلندية فاعلنوا ابنه شارل الثاني ملكاً عليهم .

### عودة الملكية :

بعد وفاة كروميل انتخب مجلس العموم البريطاني ريتشارد ابن كروميل رئيساً للدولة، لكنه لم يستطع ملئ الفراغ، فضلاً عن حدوث إنقسامات حول عودة الملكية؛ بسبب السلبات التي برزت في العهد الجمهوري، ونتيجة لشعور ريتشارد بعجزه قدم إستقالته بعد ستة أشهر من توليه الحكم .

كتب أحد الضباط المحافظين الى شارل الثاني الذي يعيش في منفاه في هولندا طلباً للعودة واستلام عرش عائلته، وبعد عودته سنة 1660 انتهت الجمهورية وعادت الملكية الى بريطانيا .

تميز عهد شارل الثاني بالاستبداد، وكان تعامله حذر مع مجلس العموم التي اتسمت بالاعتزان بين سلطته وسلطة المجلس... بعد 18 عام بدأ شارل الثاني ينحاز للكاتوليك واصدر ( مرسوم التسامح ) بهدف تشجيع الكتلكة الا ان مجلس العموم رفضه، فتراجع الملك عنه، واصدر مجلس العموم ( قانون الأختبار ) الذي فرض على موظفي الدولة والعسكريين الولاء للكنيسة الانجليكانية وحرم أسناد الوظائف لغير انصار الإنجليكانية، كما وأصدر قانون آخر يقضي بإبعاد الكاثوليك عن عضوية مجلس العموم ومجلس اللوردات.

مما زاد في تدهور أوضاع الناس إحساسهم بأن شارل الثاني المتزوج من كاثوليكية أنحاز كثيراً للكاتوليك، لاسيما توقيع معاهدة سنة 1670 مع لويس الرابع عشر الذي وعده بتأييد الكنيسة الكاثوليكية

وان يساعده شارل الثاني في قتاله الطائفي مع الهولنديين مقابل أن يمده لويس الرابع عشر بالمال والسلاح اذا قامت ثورة ضده ، وكذلك الخطر المنبثق من وراثة العرش بعد شارل لانه

لم يكن له ورياً، فبالكاد سيكون أخيه جيمس الثاني المعروف بولائه للكاتوليكية والمعروف بعلاقته مع لويس الرابع عشر عدو البروتستانتية في فرنسا ... وكل ذلك حدث فعلاً .. فقامت الثورة الجليلية موضوع محاضرتنا القادمة .

### الحركة الفكرية في أنكلترا خلال القرن السابع عشر

لقد أدت الثورة الجليلية التي لم تُرق فيها قطرة دم واحدة دوراً بارزاً في تطور الحياة الدستورية ونظام الحكم، وقد كتب العديد من الكتاب والأدباء في أسباب الثورة ونتائجها، ولعل أبرزهم : ( جون لوك ) عالج في كتابه النظريات السياسية التي قامت عليها الثورة، كما حدد المبادئ الأساسية لها مثل إن كل فرد له حقوق طبيعية في التمتع بحريته وممتلكاته، وأن الهدف من وجود الحكومة هو لحماية هذه الحقوق، وأذا ما فشلت الحكومة في القيام بمهمتها هذه أو انحرفت عنها فإن للشعب الحق في الثورة عليها والتخلص منها، وبهذا يكون الشعب هو السيد الحقيقي مصدر السلطات والقوة التي تسند العرش .

أما في المجال الديني فقد أكد ( لوك ) على عدم تدخل الحكومة في الأمور الدينية عدا الإلحاد والكاتوليكية وقد كان لمثل هذه الآراء تأثيرها على رجال الثورتين الأمريكية والفرنسية وأصبحت قاعدة لمعظم الدساتير في العالم .

أشتهر كتاب ( جان لوك ) " مبحثان في الحكومة " في مواجهة أفكار السير " روبرت فلمر " الذي أشتهر بدفاعه المتطرف عن السلطة الأستبدادية من خلال كتابه "باترياركا"، الذي كان عبارة عن مخطوطة متداولة ولم يطبع الا في عام 1680، وكان روبرت فلمر متأثر بـ " بودين وهوبس " وكان يقول لا ينبغي أن توزع السلطة لأنه في حال توزيعها لن يبقى للحكومة وجود وستنتج فوضى تدم، وهم أكثر استعداداً لتحمل المظالم من تحمل الثورة " ، يتضح من خلال ما تقدم أن الحرية في القرن السابع عشر تدين الى جون لوك، ويمكن القول بأن جون لوك كان يطالب بإصلاح البرلمان بين فترة وأخرى، وهو يتجه نحو الديمقراطية الانتخابية .

كما يمكن القول بأن المتتبع لأراء جون لوك وأفكاره عن الحرية والديمقراطية كانت تدافع عن حرية الأثرياء الأنكليز من أبناء طبقتهم، ومن أبرز المفكرين والكتاب في ذلك القرن :

1- الكاتب صموئيل بوفندروف - ألماني.

## 2- المفكر غروتوس - هولندي .

من الجدير بالذكر فأن جون لوك كان أبرز هؤلاء وأوسعهم نفوذاً؛ بسبب الثورة المجيدة التي قامت في إنكلترا في القرن السابع عشر، فلقد خرجت إنكلترا من حربها مع اسبانيا ظافرة، وتقدمت على النظام الملكي المنليثي نظام الملك لويس الرابع عشر، وازدادت ثراء خلال القرن الثامن عشر، وكانت الحرية هي السر وراء أزدهارها، فلقد استطاعت بريطانيا ان تكيف من دستورها العائد الى القرون الوسطى تكيفاً يتفق مع مفاهيم الدولة الحديثة، ويؤمن الحريات العامة القديمة ويوفر كفاءة جديدة، وهذا يعد إنجازاً لافتاً في العصر الحديث.

إن النجاح في إيجاد ممارسة ديموقراطية برلمانية لم يصادف أي دولة حديثة وكبيرة كما صادف إنكلترا والأنظمة الأخرى التي أنشقت عن النظام البرلماني البريطاني، وقد أسهم في تحقيق ذلك النجاح الرائع جميع كتاب الكراريس في عصر الثورة البيورتانية، وعمالقة الفكر السياسي أمثال ( هارينجتون - هوبس - لوك ) .

## إنكلترا في القرن السادس عشر

خضعت إنكلترا سنة 1066 للنورمانديين الذين استوطنوا البلاد وامتزجوا مع أهلها وتصاهروا؛ فنشأ من وراء ذلك الشعب الإنكليزي الحديث، وظهر فيهم ملوك أقوىاء بسطوا نفوذهم الى فرنسا منتصف القرن الرابع عشر، مما أدى الى نشوب (حرب المائة عام) بين الإنجليز - الفرنسيين؛ بسبب غزو إنكلترا لفرنسا، وتم إجلاء الإنكليز بعد مائة عام.

بعد جلاء الإنكليز من فرنسا بسنتين حدثت حرب أهلية في أنكلترا عرفت باسم ( الوردتين ) 1455-1485؛ وسبب التسمية هو ان طرفي النزاع كانا يحملان نفس الشعار وهو الوردة، ونتيجة الحرب كانت فوز آل يورك على آل لانكستر؛ لكن ملك ال يورك ويدعى ريتشارد الثالث كان مرفوضاً من الشعب، مما أدى بإعتلاء العرش لشخص من آل لانكستر عرف باسم هنري السابع وأسمه الحقيقي (هنري تيودور).

## هنري السابع ( هنري تيودور )

يمثل عهد هنري السابع نهاية الحروب الإقطاعية الداخلية، وبداية للتقدم الاقتصادي، وعهد هنري السابع يمثل بداية عصر النهضة في إنكلترا بقيادة الطبقة الوسطى، فبدأ الإنكليز بالإستكشافات الجغرافية، وأحياء العلوم والإصلاح الديني والتجارة وجمع الثروة.

لقد تأثر هنري السابع بما كان سائداً في أوروبا آنذاك من أنظمة الحكم المستبدة التي ترغب بالحكم المطلق، لكنه لم يعلن ذلك بشكل صريح؛ لأن إنكلترا لها باع طويل في العمل البرلماني، فمنذ عام 1215 وقع الملك الإنكليزي على الصك المعروف ( الماكناكارتا ) : وهو من أهم الوثائق التي صدرت عن حقوق الإنسان ومن ضمنها ضمان حقوق الإقطاع في وجه الملك وحرية الكنيسة، وحقوق النساء وغيرها، فكان ذلك بداية لتقييد سلطة الملك وظهور البرلمان، فسعى هنري السابع الى اغراء أعضاء البرلمان ليكسبهم وليكونا أداة بيده، لذلك تميز عهد ال تيودور بضعف برلماني، وبدأت الأسر بالانهيار بسبب الحروب الطويلة، واخيراً فأن هنري السابع زوج أبنته " مارغريت " من ملك اسكتلندة؛ مما حذى به بالتفكير في توحيد المملكتين، والتي أصبحت فعلياً في مملكة واحدة في جزيرة واحدة تسمى " بريطانيا " .

## هنري الثامن

اعتلى عرش إنكلترا هنري الثامن ابن هنري السابع بعد وفاة الأخير (1509-1547)، وأهم مايميز حكم هنري الثامن هو : **قيادته لحركة الإصلاح الديني، والذي لاقى استحسان من قبل الشعب الأنكليزي، مما جعل البرلمان أداة بيد هنري الثامن ينفذ رغباته ومشاريعه دون اعتراض.**

لم تكن حركة الإصلاح دينية بحتة بل إقتصادية وسياسية، إذ أن هنري الثامن لم يكن يؤمن بالبروتستانتية ومنحه البابا لقب ( المدافع عن العقيدة ) ،ومن أهم الدوافع التي جعلت هنري الثامن يتبنى حركة الإصلاح الديني في بلاده :

- 1- دوافع شخصية، ومنها رغبته بالزواج من إحدى سيدات البلاط واسمها آن بولين لأن زوجته لم تتجب له ولداً، فرفض البابا في روما ذلك الزواج .
- 2- الرغبة الجماهيرية بزوال سلطة روما ( الكنيسة ) من إنجلترا، لأن ذلك سيدعم سلطة هنري الثامن ويكون الشعب يدين بالولاء له، وبلا مشاركة السلطة الدينية .
- 3- الإستفادة من الأموال التي كانت ترسل الى كنيسة روما .

4- فساد رجال الكنائس والأديرة .

5- الشعب كان مهياً لتأييد هنري الثامن في مساعيه للحفاظ على الاستقرار بعد معاناة كبيرة جراء حرب الوردتين .

6- وقوف البرلمان مع الملك هنري الثامن .

من الجدير بالذكر أن البرلمان أنشغل لسنوات في وضع قوانين تعزز حركة الإصلاح الديني بغية إصلاح مفاسد الكنيسة وأخضاعها للملك؛ ونتيجة لذلك تمكن من الزواج من آن بولين بعد أن طلق زوجته التي لم تنجب له ولداً، ولم يهتم بقرار البابا الذي رفض ذلك الزواج. اصدر البرلمان سنة 1534 ( قانون السيادة العليا ) : مضمونه بأن الملك هو الرئيس الأعلى للكنيسة الإنجليزية، ومعاقبة كل من يتعرض لحق الملك في ذلك، كما أصدر قانون حل الأديرة الصغيرة.

كما أنشأ هنري الثامن اسطولاً قوياً وخاض عدة حروب ضد فرنسا، ونجح في دمج بلاد الغال (ويلز)

بإنكلترا وحاول ضم اسكتلندا الى التاج الإنجليزي لكنه فشل.

كما أصدر قانوناً أصبح بموجبه ابنه أدورد ولياً للعهد وتخلفه أبنته ماري وإذا لم يكن لها وريث فيخلفها على العرش اختها اليزابث ابنته من آن؛ وعرف ذلك ( بنظام الوراثة ) .

## حكم الوراثة

لقد صحت كل توقعات هنري الثامن وحكم جميع الذين ورد ذكرهم في قانون الوراثة ... أستلم ابنه أدورد سنة 1547 باسم أدورد السادس وعمره كان 10 سنوات وأصبح خاله وصياً عليه، وشهد عهده موجات مناهضة للكاتوليكية ومساندة للبروتستانتية؛ لأن الملك نشأ على المذهب البروتستانتية، فأغلقت الكثير من الكنائس الكاثوليكية، ثم خلع الوصي وأعدم سنة 1552؛ بسبب إضراره بكبار الملاك، وتم تعيين غيره، إذ ألقى اللوم عليه بما حدث من تردي الاقتصاد، إذ أن الوصي كان يميل الى طبقة الفقراء التي تضررت بسبب طمع كبار الملاك الذين حولوا الأراضي الزراعية الى مراعي لتصدير الصوف، فنتج عن ذلك بطالة بين الفلاحين.

مات الملك ادوارد وهو صغير؛ بسبب مرض معين، وتولت أخته ( ماري ) سنة 1552-  
1558 وكانت متدينة كاثوليكية فاتخذت قرار بإعادة العلاقات مع الكنيسة في روما والغت  
القوانين التي صدرت في عهد أخيها، ثم تزوجت من فيليب الثاني ملك اسبانيا الكاثوليكي  
المتعصب، فقد غضب الشعب الإنكليزي؛ لأن ذلك الزواج معناه تبعية إنكلترا الى اسبانيا، مما  
أجج ثورة عارمة بقيادة ( توماس ويت ) لكنها قضت على الثورة وبدأ عهد اضطهاد المذهب  
البروتستانتي مما دفع الإنجليز الى الدخول في المذهب .

ماتت ماري دون أن تتجب فخلفتها على العرش ( اليزابيث ) التي حكمت لمدة 45 عاماً  
1558-1603 وعهدها من الفترات الزاهية في التاريخ الإنكليزي وسمي منتصف القرن  
السادس عشر ( عصر اليزابيث ) .

كانت اليزابيث قوية الإرادة وعادت للبرلمان بعضاً من سلطته، وكانت كفوءة مع رجال  
مقتدرين، وأرادت أن تطبع مع المذهب البروتستانتي ولم تتعجل في قطع العلاقات مع روما  
وكانت متزنة.

أصدرت ( قانون السيادة العليا ) الذي أكد على سلطة الملك الدينية والدنيوية، والزم رجال  
الدين ان يقسموا بالولاء للعرش وعدم الخضوع لأي سلطة أجنبية؛ الأمر الذ أنهى سلطة  
الكاثوليك في عهد ماري... أما ( قانون المذهب الواحد ) فقد أقر تعديلات دينية ترضي  
الكاثوليك والبروتستانت المعتدلين.

عارض البروتستانت المتطرفون قانون المذهب الواحد الذي جعل نظام الكنيسة كاثوليكي  
المظهر بروتستانتي العقيدة، كما تأمر الكاثوليك المتطرفون على حياة الملكة اليزابيث وذهبوا  
الى فيليب الثاني وبابا روما للتخلص من اليزابيث.

بدأت الملكة اليزابيث بدعم حركة البروتستانت في الأراضي المنخفضة وفرنسا، وعمد فيليب  
الثاني الى التدخل بشؤون ايرلندا لإثارتها ضد الانجليز، ولم تشأ اليزابيث أن تصطدم بملك  
اسبانيا وتطور الصراع ليأخذ أكبر من أبعاده الطائفية؛ لأن الصراع كان على التجارة ايضاً  
والحصول على مستعمرات في أمريكا، وبدأ الملاحون والمستكشفون يبحثون عن الذهب والفضة  
وبناء المستعمرات في أماكن اعتبرها الأسبان حكراً لهم وبدأت مهاجمة المستعمرات الاسبانية  
في القارة الأمريكية وتخريبها، وعاد السير فرنسيس دريك الى اليزابيث محملاً بالنفائس والذهب

والفضة التي سلبها من السفن والمدن الأسبانية، اذ هاجم ميناء قانس ودمر السفن الاسبانية في السواحل الأنجليزية، وكان لإضطلاع فيليب الثاني بمحاولة اغتيال اليزابث أثره في تطور الأوضاع مما دفع فيليب الى غزو إنكلترا، فجهز اسطولاً ضخماً اسمه ( الأرمادا ) الذي أنهار أمام الأسطول الإنجليزي وعاد الى اسبانيا، وكان ذلك إيذاناً بأفول نجم اسبانيا وتحولت اسبانيا الى بروتستانتية صرفة .

## إنكلترا في القرن السابع عشر

تميز نظام الحكم في إنكلترا في القرن السابع عشر بميزتين :

الأولى : انتقال العرش الى ملك اسكتلندة ( جيمس الأول ) بعد وفاة الملكة اليزابث سنة 1603 فتوحدت إنكلترا واسكتلندة لتظهر الى الوجود الدولة البريطانية تحت حكم ( آل ستيوارت ) .

الثانية : احتدام الصراع بين آل ستيوارت والبرلمان البريطاني وعلى أثر ذلك حل شارل الأول البرلمان لمدة أحد عشر عاماً، لذلك تميز القرن السابع عشر بظهور الحكم المطلق في بريطانيا الذي حمل في مضامينه صراعاً طائفيّاً بين الكاثوليك متمثلين بآل ستيوارت والبروتستانت ممثلين البرلمان الذي يسمى ( مجلس العموم )، المنتخب من الشعب .

## جيمس الأول (1603-1625)

أراد جيمس الأول الأفراد بالسلطة دون البرلمان من خلال أحاديثه عن حقوق الملك الألهية في الحكم وكيف أن له الحق في إصدار القوانين دون الرجوع الى البرلمان، وأكد جيمس الأول في كتابه بأن الملك يستمد سلطته من الله الذي جعله أباً رحوماً للشعب، فعليه أن الملك مسؤول أمام الله وحده وليس لأحد من الشعب حق في محاسبته؛ وهو بذلك يمثل تقليداً اسكتلندياً عرفه آل ستيوارت في حكمهم ويسمى " نظرية الحق الألهي المطلق في الحكم " واستخدمته اسبانيا والنمسا وفرنسا .

وقف الشعب الإنكليزي ضد أفكار جيمس الأول التي تتعارض مع التقاليد الإنجليزية لكنه بقي مصراً على نهجه، واسنمر الصراع بينه وبين مجلس العموم لا سيما عندما حاول فرض ضرائب جديدة، فتجاهل البرلمان، وبدأ يأخذ قروضاً ومساعدات مالية خارجية، وفي سنة 1614 قرر حل

مجلس العموم؛ لأنه عجز عن تروييضه وأخضاعه لرغباته ولم تجر أي انتخابات حتى سنة 1621 التي لم تسفر عن مجلس مطيع للملك .

### سياسة جيمس الأول الخارجية

سعى جيمس الأول الى توطيد علاقته بملك اسبانيا الكاثوليكية مما زاد في كراهية الإنكليز له، وزاد بغض الإنكليز له عندما أراد تزويج ولي عهده من اميرة اسبانية، لكنه تراجع، كونه لم يكن متعنتاً بقرارته، مما أعلن الحرب على اسبانيا لاحقاً .

### شارل الأول (1625-1649) :

شارل الأول ورث العرش من جيمس الأول والده وسار على نفس النهج الذي سار عليه والده في تثبيت الحكم المطلق، لكنه لم يكن مرناً ومقتدرًا على التراجع مثل والده.

ونتيجة لحملاته العسكرية الفاشلة على اسبانيا وفرنسا أفلست الخزينة الإنكليزية؛ فاضطر شارل الى فرض الضرائب والقروض بدون موافقة مجلس العموم، وأمر بسجن كل من لم يقرض الملك؛ فتذمر الشعب ولاقى قبول لتذمره من مجلس العموم الذي اجتمع سنة 1628 وأعدوا وثيقة سميت " ملتمس الحقوق " : وتعتبر من وثائق الدستور البريطاني المدونة وطالبوا فيها بالاتي:

- 1- أن لاتجبي القروض والضرائب والهبات دون موافقة مجلس العموم .
  - 2- أن لايسجن أي مواطن ألا وفقاً لا قانون البلاد .
  - 3- أن لا يجبر الشعب على أيواء الجنود والبحارة في منازلهم مهما كانت الظروف .
- وبناء على ذلك وافق شارل الأول على الوثيقة على الرغم من أنه اعتبرها تجاوزاً على سلطته، وتأزم الوضع بين الملك شارل ومجلس العموم مما حذى بالملك بجل المجلس سنة 1629، وحكم شارل أحد عشر سنة حكماً مطلقاً .

### البرلمان الطويل

تأسس في سنة 1640 لتميرير فواتير مالية أثر حروب الأساقفة، وسمي بالطويل لأنه لايجل  
ألا بموافقة أعضائه الذين لم يحلوه حتى نهاية الحرب الأهلية سنة 1660.

سبق البرلمان الطويل برلمان قصير أستمروا ثلاثة أسابيع وحله الملك؛ بسبب استياء الملك  
من أعضاء البرلمان المطالبين برفع الظلم عن الشعب مقابل تدبير بعض المبالغ المالية للملك  
لتغطية حروبه وسد النقص والعجز المالي .

أخذ البرلمان الطويل قراراً ضد شخصيتين مكنهم شارل إذ حكم البرلمان بالسجن على ( ستارفورد)  
حاكم اسكتلنده الذي أخضعه شارل بالقوة للحكم المطلق، و أعدام الأسقف (لورد)  
وهو أكبر منصب ديني في الدولة الذي وضع كتاباً في الصلوات وفرضه بالقوة مما دفع  
الإنكليز الى الهجرة الى أمريكا تخلصاً من الأضطهاد الطائفي، كما وقف الاسكتلنديون  
المتعصبون للكفنية ضد كتاب الصلوات، وباتت الحرب وشيكة بين الملك والأسكتلنديين الأ  
أن حاجة الملك للأموال حالة دون ذلك .

كما وأجبر البرلمان الطويل الملك شارل بالتنازل عن حقه في حل المجلس، وأقر قانوناً  
فرض دعوة المجلس للأجتماع مرة واحدة كل ثلاث سنوات، وألغيت ضريبة السفن التي  
فرضت على جميع المواطنين، كما ألغيت المحكمة التي أستخمها " لود " لمحاكمة معارضي  
سياسته الدينية، كما أقر البرلمان قانوناً يفرض على الملك أن يحصل على موافقة مجلس  
العموم عند تعيين مستشارين له .

السؤال هنا ما هو موقف شارل من ذلك؟؟

حاول شارل أستعادة سلطته مستغلاً الخلافات بين أعضاء مجلس العموم حول الإطاحة  
بحكومة الأساقفة المساندين للكاثوليكية وكان هؤلاء الأعضاء يشكلون أغلبية، بينما وقفت أقلية  
تدافع عن بقاء الكنيسة وهي تتوافق مع رغبة الملك شارل ... شعر أغلبية الأعضاء بأن الملك  
يحيك مؤامرات ضد المجلس فاحتجوا عليه وعرف ذلك بـ ( الأحتجاج الأعظم ) سنة 1641،  
تم فضح مساويء الملك شارل وطالب المحتجون الوزراء بتلقي الأوامر من مجلس العموم  
ممثل الشعب؛ الأمر الذي أدى بشارل استعمال القوة ضد قادة الأحتجاج المعارضين له في  
المجلس بتهمة الخيانة مما اثار غضب الجماهير ضد الملك ففر شارل واسرته الى الريف،  
وأصبحت إنكلترا على شفا حر أهليه يواجهها جيش اسكتلنده.

## الحكومة الجمهورية :

حدث أنقسام بين الإنكليز حول الملك والمجلس، في النهاية انتصر كروميل قائد البروتستانت على شارل الأول سنة 1645 في معركة ناسيبي، وأعدم شارل سنة 1649 في ساحة الوايت هول أمام القصر الملكي في لندن.

أعلنت الجمهورية في الجزر البريطانية بعد أعدام الملك مباشرة والغى مجلس اللوردات، ووضع دستور جديد للبلاد أصبحت إنكلترا بموجبه جمهورية، الأ أن كروميل واقعياً حكم كما حكم شارل الأول وقام كروميل بحل مجلس العموم وحكم البلاد بشكل مطلق " حكم ديكتاتوري " معتمداً على جيشه القوي مدة خمس سنوات ... أما الأسكتلنديين فقد احتجوا على أعدام الملك شارل الأول معتقدين بأن ذلك عمل غير إنساني؛ فضلاً عن كونه من عائلة ال ستيوارت الاسكتلندية فاعلنوا ابنه شارل الثاني ملكاً عليهم .

## عودة الملكية :

بعد وفاة كروميل انتخب مجلس العموم البريطاني ريتشارد ابن كروميل رئيساً للدولة، لكنه لم يستطع ملئ الفراغ، فضلاً عن حدوث إنقسامات حول عودة الملكية؛ بسبب السلبيات التي برزت في العهد الجمهوري، ونتيجة لشعور ريتشارد بعجزه قدم إستقالته بعد ستة أشهر من توليه الحكم .

كتب أحد الضباط المحافظين الى شارل الثاني الذي يعيش في منفاه في هولندا طلباً للعودة واستلام عرش عائلته، وبعد عودته سنة 1660 انتهت الجمهورية وعادت الملكية الى بريطانيا .

تميز عهد شارل الثاني بالاستبداد، وكان تعامله حذر مع مجلس العموم التي اتسمت بالاعتزان بين سلطته وسلطة المجلس... بعد 18 عام بدأ شارل الثاني ينحاز للكاتوليك وصادر ( مرسوم التسامح ) بهدف تشجيع الكتلكة الا ان مجلس العموم رفضه، فتراجع الملك عنه، وصادر مجلس العموم ( قانون الأختبار ) الذي فرض على موظفي الدولة والعسكريين الولاء للكنيسة الانجليكانية وحرم أسناد الوظائف لغير انصار الإنجليكانية، كما وأصدر قانون آخر يقضي بإبعاد الكاثوليك عن عضوية مجلس العموم ومجلس اللوردات.

مما زاد في تدهور أوضاع الناس إحساسهم بأن شارل الثاني المتزوج من كاثوليكية أنحاز كثيراً للكاثوليك، لاسيما توقيع معاهدة سنة 1670 مع لويس الرابع عشر الذي وعده بتأييد الكنيسة الكاثوليكية

وان يساعده شارل الثاني في قتاله الطائفي مع الهولنديين مقابل أن يمده لويس الرابع عشر بالمال والسلاح اذا قامت ثورة ضده ، وكذلك الخطر المنبثق من وراثة العرش بعد شارل لانه لم يكن له ورياً، فبالكاد سيكون أخيه جيمس الثاني المعروف بولائه للكاثوليكية والمعروف بعلاقته مع لويس الرابع عشر عدو البروتستانتية في فرنسا ... وكل ذلك حدث فعلاً .. فقامت الثورة الجليلية موضوع محاضرتنا القادمة .

## Venerable Revolution

## الثورة الجليلية 1688

من المعروف أن شارل الثاني لم يكن له وريث يخلفه على العرش، فكان من الطبيعي أن يتولى عرش بريطانيا شقيقه جيمس الثاني المعروف بولائه للكاثوليكية، والمعروف بعلاقته القوية مع لويس الرابع عشر عدو البروتستانتية، وقد حدث فعلاً أن تولى جيمس الثاني العرش فكان ذلك إيذاناً لقيام الثورة الجليلية سنة 1688 .

أنقسم مجلس العموم بين مؤيد وأقلية معارضة لمقترح (لائحة الحرمان ) لمنع جيمس الثاني من وراثة العرش؛ وبسبب هذا الإنقسام ظهر حزبين في مجلس العموم هما :

1- حزب الهويج ( معارض لتولي جيمس العرش) .

2- حزب التوري ( مؤيد لتولي جيمس العرش) .

يرى حزب التوري بأن تأييده لتولي جيمس الثاني العرش بغض النظر عن كونه حاكم كاثوليكي مستبد أفضل من قيام حرب أهلية عند إصدار لائحة الحرمان .

والسؤال هنا هل تمت المصادقة على لائحة الحرمان ؟ إذ لم يصادق مجلس اللوردات على

اللائحة؛ فتولى جيمس الثاني العرش بعد وفاة شارل الثاني سنة 1685.

لقد أثبت جيمس الثاني أنه فعلاً كان كاثوليكاً متعصباً، وبدأ يفقد أنصاره من حزب التوري، وبدأ يتحدى مجلس العموم وأصدر ( لائحة التسامح الديني ) مع الكاثوليك، وعينهم في وظائف مهمة في الدولة وفي الجيش، وقد أثار وجود ضباط كاثوليك في الجيش مخاوف حزب التوري؛ لأن ذلك شكل تهديداً للكنسية الإنجلكانية، ومما زاد مخاوف الإنكليز البروتستانت ولادة زوجة جيمس الكاثوليكية ولداً يرث العرش بدلاً من أبنته البروتستانتية وكانت متزوجة من ( وليم أورنج ) حاكم هولندا البروتستانتية .

لقد صبر الإنجليز وتحملوا سياسة جيمس الثاني ثلاث سنوات لاسيما وإنه قد كبر في السن كثيراً، ورأى مجلس العموم ضرورة التخلص منه فقرر بكامل أعضائه خلعه .. أسدعي وليم أورنج وزوجته لتولي العرش فلبى الدعوة ونزل سنة 1688 ارض إنكلترا وزحف بجيشه الى لندن؛ ففر جيمس الثاني الى فرنسا، وقضى وليم اورنج على اتباع ومؤيدي جيمس. أطلق الإنكليز على هذه الحركة أسم ( الثورة الجليلة ) أو ( الثورة المجيدة )؛ لأنها جعلت الشعب مصدر السلطات، فكانت البداية لتحديد سلطة الملوك في بريطانيا وعدم وقوفهم بوجه مجلس العموم . أصدر مجلس العموم ( لائحة الحقوق ) سنة 1989؛ وهو أول عمل قام به المجلس لحماية سلطاته وتقييد سلطة الملوك، كما وتعتبر اللائحة من الوثائق الأساسية المدونة للدستور البريطاني وتقرر بموجبها :

1- لا يجوز للملك إلغاء أي قانون أو زيادة الضرائب أو فرض ضرائب جديدة أو تشكيل جيش الا بموافقة المجلس.

2- عدم سجن أي مواطن دون محاكمته محاكمة قانونية .

كما أصدر المجلس سلسلة قوانين لتدعيم التوجه الجديد وخصوصاً معالجة القضايا الطائفية ومحاولة أرضاء الجميع، وأعطى كل المذاهب الحرية في ممارسة عباداتها؛ لكن (قانون التسوية) 1701 نص على عدم تولي العرش أي كاثوليكي .. وفي سنة 1707 صدر ( قانون الوحدة )والذي أصبحت بموجبه كل من: ( أنكلترا - اسكتلندا - ايرلندا - بلاد الغال ويلز) دولة موحدة وهي : المملكة المتحدة التي تعرف باسم بريطانيا .

لقد كان للثورة الجليلة وثورات القرن السابع عشر في أنكلترا تأثيراً سياسياً ودستورياً كبيراً بقيت آثاره راسخة حتى وقتنا الحاضر، ومنها :

- 1- نشوء نظام الحزبين الذي لم يكن موجوداً من ذي قبل .
- 2- ظهور نظام مجلس الوزراء ... لقد كان الملوك الأنكليز يختارون مستشارين لهم من كبار الساسة والنفوذ ... اما بعد الثورة فقد اصبح الملوك يختارون زعماء الحزب الذي يمتلك الأغلبية في مجلس العموم .
- 3- اصبح النائب في مجلس العموم يمثل دائرة انتخابية، بينما كان الأعضاء سابقاً يمثلون أربعة طبقات : ( الارستقراطية - رجال الدين - الزراع - رجال المدن الوسطى )، وكان مجلس اللوردات يضم الطبقتين الأولى والثانية، ويضم مجلس العموم الطبقتين الأخيرتين .
- 4- تحددت نوعية وسلطات مجلس اللوردات والعموم فأصبح الأول يمثل : الارستقراطية الإنكليزية، بينما يمثل الثاني سلطة الشعب .
- 5- نمو الروح الفردية التي تعارض امتياز الطبقات، فكانت روح الشجاعة والحرية والمناداة بالمساواة بين الطبقات تعلوا، فضلاً عن المناداة بأحقية ظل فرد بانتخاب نوابه .

وبضوء ماورد أعلاه على الطالب ان لا يعتقد بأن الديمقراطية الحالية في بريطانيا نتيجة لثورات القرنين السابع عشر والثامن عشر؛ لأن الانتخابات لم تكن لعامة الشعب، ولم تشترك الطبقات الفقيرة في الانتخابات، وكان الاشراف والاغنياء يتحكمون بسير تلك الانتخابات ويمكن القول أن أن الثورات انتجت حكومة ( اوليكركية ) مكونة من اغنياء حزب الهويج التي انتشر فيها الفساد والرشوة والغلاء والضرائب .. ولم تكن الديمقراطية سوى دساتير على الورق ونظريات شكلت اساساً للديمقراطية في القرنين العشرين والواحد وعشرين .

### الحركة الفكرية في أنكلترا خلال القرن السابع عشر

لقد أدت الثورة الجليلة التي لم تُرق فيها قطرة دم واحدة دوراً بارزاً في تطور الحياة الدستورية ونظام الحكم، وقد كتب العديد من الكتاب والأدباء في أسباب الثورة ونتائجها، ولعل أبرزهم : ( جون لوك ) عالج في كتابه النظريات السياسية التي قامت عليها الثورة، كما حدد المبادئ الأساسية لها مثل إن كل

فرد له حقوق طبيعية في التمتع بحريته وممتلكاته، وأن الهدف من وجود الحكومة هو لحماية هذه الحقوق، وأذا ما فشلت الحكومة في القيام بمهمتها هذه أو انحرفت عنها فإن للشعب الحق في الثورة عليها والتخلص منها، وبهذا يكون الشعب هو السيد الحقيقي لمصدر السلطات والقوة التي تسند العرش .

أما في المجال الديني فقد أكد ( لوك ) على عدم تدخل الحكومة في الأمور الدينية عدا الإلحاد والكاثوليكية وقد كان لمثل هذه الآراء تأثيرها على رجال الثورتين الأمريكية والفرنسية وأصبحت قاعدة لمعظم الدساتير في العالم .

أشتهر كتاب ( جان لوك ) " مبحثان في الحكومة " في مواجهة أفكار السير " روبرت فلمر " الذي أشتهر بدفاعه المتطرف عن السلطة الاستبدادية من خلال كتابه "باترياركا"، الذي كان عبارة عن مخطوطة متداولة ولم يطبع الا في عام 1680، وكان روبرت فلمر متأثر بـ " بودين وهوبس " وكان يقول لا ينبغي أن توزع السلطة لأنه في حال توزيعها لن يبقى للحكومة وجود وستنتج فوضى تدم، وهم أكثر استعداداً لتحمل المظالم من تحمل الثورة " ، يتضح من خلال ما تقدم أن الحرية في القرن السابع عشر تدين الى جون لوك، ويمكن القول بأن جون لوك كان يطالب بإصلاح البرلمان بين فترة وأخرى، وهو يتجه نحو الديمقراطية الانتخابية .

كما يمكن القول بأن المنتبع لأراء جون لوك وأفكاره عن الحرية والديمقراطية كانت تدافع عن حرية الأثرياء الأنكليز من أبناء طبقتهم، ومن أبرز المفكرين والكتاب في ذلك القرن :

1- الكاتب صموئيل بوفندروف - ألماني.

2- المفكر غروتوريوس - هولندي .

من الجدير بالذكر فإن جون لوك كان أبرز هؤلاء وأوسعهم نفوذاً؛ بسبب الثورة المجيدة التي قامت في إنكلترا في القرن السابع عشر، فلقد خرجت إنكلترا من حربها مع اسبانيا ظافرة، وتقدمت على النظام الملكي المنليثي نظام الملك لويس الرابع عشر، وازدادت ثراء خلال القرن الثامن عشر، وكانت الحرية هي السر وراء أزدهارها، فلقد استطاعت بريطانيا ان تكيف من دستورها العائد الى القرون الوسطى تكيفاً يتفق مع مفاهيم الدولة الحديثة، ويؤمن الحريات العامة القديمة ويوفر كفاءة جديدة، وهذا يعد إنجازاً لافتاً في العصر الحديث.

إن النجاح في إيجاد ممارسة ديموقراطية برلمانية لم يصادف أي دولة حديثة وكبيرة كما صادف إنكلترا والأنظمة الأخرى التي أنشقت عن النظام البرلماني البريطاني، وقد أسهم في تحقيق ذلك النجاح الرائع جميع كتاب الكراريس في عصر الثورة البيورتانية، وعمالقة الفكر السياسي أمثال ( هارينجتون - هوبس - لوك ) .

### فرنسا في عهد اسرة ال بوربون

لقد تميزت فرنسا بأن أكثرية سكانها كاثوليك، وكانت السلطة الزمنية ترغب أن يكون لها يد في تعيين رجال الدين في الوظائف الدينية في فرنسا، وكانت السلطة السياسية في فرنسا ترغب بالإشراف على الكنيسة بدلاً من أن تكون تابعة لكنيسة روما، وقد نص قرار الملك شارل الرابع الذي صدر سنة 1438 على أن تكون الوظائف الكنسية بيد الملك والحكومة الفرنسية، وكذلك هناك اتفاقيات عقدها الملك فرانسوا الأول مع البابا ليو العاشر سنة 1516، تلك الاتفاقيات أدت الى ما يعرف بالمذهب الإنجليكاني،

انتشرت المذاهب البروتستانتية في عهد فرانسوا ول لأنه كان يشجع على نشرها، لكن بعد ذلك أخذ يضطهد تلك المذاهب إلا إن المذاهب انتشرت بين الطبقة الوسطى والعليا في المجتمع الفرنسي، وظهر عهد جديد في تاريخ الحركة البروتستانتية الكالفنية في فرنسا. تمتعت البروتستانتية الكالفنية في فرنسا بالكثير من الحرية والانتشار وأصبح عدد الكنائس 200 كنيسة في فرنسا، وبلغ عدد البروتستانت 400,000 الف نسمة.

أخذت فرنسا تفكر جدياً بإضطهاد البروتستانت الكالفنيين في فرنسا؛ بسبب قوة البروتستانت اللوثرين في المانيا، وفعلاً تعاونت فرنسا مع اسبانيا للقضاء على البروتستانت الكالفنيين مما أدى الى تطور الحركة الكالفنية التي اتخذت طابعاً سياسياً وثورياً خطيراً الى جانب كونها ثورة دينية .. مما أدى الى حرب أهلية دينية في فرنسا .

خاضت فرنسا ثمانية حروب فضيعة الأربعة الأولى بشعة فكان القتل والتتكيل في كل مكان، أما آخر أربعة حروب فقد كانت في عهد هنري الرابع وهي الأشد والأعتى.

### هنري الرابع :

كانت الحروب الدينية مشتعلة في فرنسا بين الكاثوليك والبروتستانت في القرن السادس عشر، وبلغت مبلغها من القتل والتتكيل، ثم دخلت فرنسا في حروب أهلية مروعة، سببها؛ الأحقاد الدينية بين المذهبين سالفا الذكر، استمرت الحروب الأهلية أكثر من ثلاثين عاما 1562 - 1593

كانت هذه الحروب في زمن هنري الأكثر تعقيدا وكانت فضيحة وهمجية لأن الجانبين يحاول أن يثار لنفسه، فحدثت مذابح وعلقت المشانق؛ وقد أخذت الحروب الدينية صفة سياسية؛ لأن مبدأ السلطة الملكية قد اختلف فيه، ففي بعض مناطق الجنوب كانت البروتستانتية عبارة عن حركة حرة ديمقراطية مدعين أنهم يريدون إعادة الحرية الى المملكة ...

لقد كان كل من طرفي الصراع يستجد بالأجنبي لنجدته، فتكون أما بطلب معونة الملوك مثل اليزابث ملكة إنكلترا وفيليب الثاني ملك اسبانيا وأمراء المانيا، وأما بإستئجار المرتزقين الإيطاليين أو الألمان أو السويسريين ممن لا يبالون بالدين ولايتورعون من الإنتقال من معسكر الى آخر في سبيل المال.... لم تؤدي أي حرب من الحروب الدينية الى نتائج حاسمة لأن طرفي النزاع لا يمتلكان مقومات الأنتصار، ولم يستطع الكاثوليك هزيمة الخصم البروتستانت الكالفينيون، لأن الكالفينيون اقلية قياسا بالكاثوليك بسبب إنتشارهم في كافة أنحاء فرنسا.، سعى هنري الرابع لإصلاح الأوضاع الداخلية الناتجة عن الحروب الدينية.

### **الملك هنري الرابع ومرسوم ( نانتي )**

واجه الملك هنري الرابع صعوبات كبيرة كونه بروتستانتيًا ومحروماً من الكنيسة ، وأن معظم البلاد الكاثوليكية لا تؤيده، لقد سار هنري الرابع على الأسلوب السياسي الأتي :

أولاً : اعتبر الكاثوليكية دين الدولة الفرنسية الرسمي .

ثانياً : رأى ضرورة تمتع المذاهب المصلحة بالحرية التامة في العبادة والعقيدة، ألا إن هذه السياسية لم تنجح؛ وقامت معارك بينه وبين الحلف الكاثوليكي، واتسم بكونه نضالاً سياسياً أكثر من كونه دينياً، وانتصر هنري الرابع، لكن كانت هناك نتائج خطيرة :

1- اعترفت به الدول البروتستانتية مثل : أنكلترا والسويد والدنمارك والأراضي المنخفضة

2- أعترفت به البندقية وهي كاثوليكية

3- وقفت اسبانيا ضد هنري الرابع والحلف الكاثوليكي.

4- انشق الكاثوليك على أنفسهم نتيجة أطماع اسبانيا واللورين وسافوى السياسية.

أن هذا الإنقسام ساعد هنري على ضرب التجمع الكاثوليكي ضربة قوية سنة 1590 و تقدم بجيشه واخذ يضيق الحصار على باريس واضطر لاحقاً ان يفك حصاره نتيجة الضغط الاسباني العسكري وقوات كاثوليكية جاءت من الأراضي المنخفضة التابعة لأسبانيا، ولقد دعم هنري الرابع مركزه حين اعلن كاثوليكيته سنة 1539، وبعدها فتحت باريس أبوابها للملك سنة 1594 وسلمت باقي المدن .

سار هنري على سياسة حكيمة وهي استمالتة للكاثوليك، واستطاع اقناع البابا كلمنت الثامن بإلغاء سك الحرمان عنه سنة 1595، والأعتراف به ملكا على فرنسا، ووقع مع فيليب الثاني ملك اسبانيا المريض معاهدة فردان سنة 1598.

كما أن هنري الرابع اصدر مرسوم ثاني سنة 1598 انهى به الحرب الدينية في فرنسا، وشمل التسامح الديني مع اتباع كالفن ، وأجاز للبروتستانت إقامة شعائهم الدينية في المدن الخاصة بهم ، وسمح للهيوجنوت بتولي المناصب العامة العسكرية والمدنية، وأنشأ للبروتستانت محكمة قضائية خاصة بهم، ومحاكم أخرى لباقي مقاطعات فرنسا وسمح لهم بعقد مجلس عام يمثلهم كل ثلاث سنوات للبحث في اوره احوالهم.

وبضوء الأحداث سالفة الذكر يتضح أن هنري الرابع نجح في إنهاء المشكلة الدينية وأقر مبدأ التسامح الديني في فرنسا، وأثبت أنه رجل سياسي بارع قدير في حل المشكلات وبرهنت أعماله على أنه حاكم مستتير .

### فرنسا في عصر العظمة والأزدهار

بعد انتهاء الحروب الدينية في فرنسا التي انهكت البلاد وارهقت الشعب لما حل به من بؤس وشقاء نتيجة ويلات الحروب، اتجه نحو تحسين الأوضاع الداخلية، فلما

تولى الحكم هنري الرابع مؤسس ملكية آل بوربون في فرنسا اهتم **بالإصلاحات الداخلية** :

- 1- انعاش الزراعة والصناعة والتجارة .
- 2- جمع الضرائب من الأغنياء الذين كانوا يتمتعون عن دفعه سابقاً .
- 3- نظم طرق الجباية .
- 4- شق طرق جديدة مما أسهمت بتقدم التجارة.
- 5- نظم المصروفات المالية .
- 6- شق القنوات لیساعد على تقد الزراعة .
- 7- أسس مدينة كوبيك في كندا سنة 1608 فيكون اول من وضع حجر الأساس في الإمبراطورية الفرنسية فيما وراء البحار .

### **أما الإصلاحات الخارجية :**

- 1- اتحد مع الامراء الالمان من البروتستانت ضد رودلف الثاني امبراطور المانيا، وانضم للحلف إنكلترا وهولندا والاتحاد الألماني البروتستانتى والبنديقية وسافوي.
- 2- أسس جيشاً قوياً للدفاع عن فرنسا من أي اعتداء  
أغتيل سنة 1610 على يد احد المتعصبين الكاثوليك واسمه ( فرانسوا رافياك )  
( فكان اغتياله قد هز فرنسا .

### **لويس الثالث عشر**

تولى الحكم سنة 1610 بعد مقتل ابيه هنري الرابع، الا إنه كان قاصراً فتولت الوصاية عليه أمه الإيطالية ماري مديتشي.

لقد كان لماري دوراً في تغيير سياسة فرنسا بشكل كلي، فوطدت علاقتها بملك اسبانيا الكاثوليكية مع اسرة آل هبسبيرج فزوجت ابنها لويس الثالث عشر من الأميرة النمساوية آن ابنة فيليب الثاني ملك اسبانيا، كما عملت ماري والدة لويس الثالث عشر على استمالة الهيجونوت في فرنسا، وواجهت ماري صعوبة في مواجهة الامراء الإقطاعيين الذين أرادوا الاستقلال بإماراتهم مستغلين ضعف الملكية

الاسبانية، لكن ماري القت القبض على زعيم هؤلاء الامراء واسمه كوندية وسجنته في سجن الباستيل سنة 1616م.

ونتيجة لخلافات الملك لويس الثالث عشر مع أمه بسبب قتله لشخص يدعى كونسيني الامر الذي اغضب والدته وانزلت عنه، كما وحدث خطر جديد على الملكية في فرنسا من قبل جماعة الهيجونوت الذين ثاروا بسبب النزاع القائم بين الملك وأمه وزاد خطرهم في حرب الثلاثين عام التي برهنت على ان الشعور الديني مازال قوياً في فرنسا بالرغم من الصمت الشكلي الذي سادر فرنسا بعد مرسوم ناننت سنة 1598، فبدأ الهيجونوت ينفصلون في مدنهم المحصنة وأسسوا حكومات على طراز حكومة جنيف الجمهورية الكالفنية ، ثم أنشأوا من هذه المدن حكومات محلية وربطها في اتحاد قوى واصبحوا دولة داخل دولة ودعا هذا التسارع في الاحداث الملك والمملكة الى حرب الهيجونوت .. استمر الصراع بين الملك والهيجونوت لعام 1622 وانتهى بعقد صلح (( مونبليه )) في ذات العام ونتج عنه :

- 1- عدم السماح للهيجونوت بعقد المجالس المحلية .
- 2- استولت الحكومة على مدنهم المحصنة، وكان هذا الصلح ضربة قوية للهيجونوت .

### الكاردينال ريشيلو

تسلم ريشيلو الوزير الجديد سلطة واسعة في فرنسا دامت 18 عام من 1624-1642م، وصل الى مركز كاردينال وهو الذي توسط لحل الخلاف بين الملك وأمه ماري في عهد وزارة دي لوين، ومن هنا كانت ثقة الملكة الوالدة بريشيلو فقامت بترقيته الى الكاردينال سنة 1622 ثم دخل الوزارة سنة 1624 ثم صار رئيساً لمجلس الملك، ثم بعد ذلك صار يتمتع بنفوذ عالي في فرنسا .

وكان يروم :

- 1- تقوية سلطة الملك رغبة منه في ان تصل الى الحكم المطلق .
- 2- احراز تفوق سياسي في اوربا .

ولأجل الأهداف أعلاه .. عمل على ما يأتي :

- 1- أرغم النبلاء على الخضوع التام للملكية في فرنسا .
- 2- قضى على الاعمال الانفصالية التي يقوم بها الهيجونوت .

3- عاد الى سياسة هنري الرابع المعادية لاسبانيا الكاثوليكية، من اجل رفع شأن فرنسا في الداخل والخارج .

وقد تعرض ريشليو للأمتيازات السياسية للهيجونوت وليس لعقائدهم الدينية والحق بتجمع للهيجونوت في مدينة لاروشيل هزيمة كبرى على الرغم من المساعدات التي كانت تقدمها بريطانيا للهيجونوت .

وفي سنة 1628 اضطر الهيجونوت توقيع صلح مع ريشليو وانحل بموجبه التجمع الهيجونوتي وفقدوا امتيازاتهم السياسية وابقى ريشليو لهم حرية العقيدة والمساواة بينهم وبين الكاثوليك مؤكداً على مرسوم ناننت للتسامح الديني وحرية العقيدة، واستمر تعيين اليهود في وظائف الدولة والجيش والقضاة من أجل منحهم الثقة والتي تؤدي الى ضمان طاعتهم للتاج الفرنسي .. وهكذا اندمجت الهيجونوت في صفوف المواطنين .

قرر ريشليو التخلص من مؤامرات النبلاء الذين يتعاونون مع شقيق الملك جاستون ومع الملكة الوالدة ( ماري ) بعد أن ادركت الملكة ان ريشليو بدأ يأخذ السلطات الواسعة ويحصرها بيده، وبذلك ضرب ريشليو النبلاء والمتعاونين معهم وقضى على نفوذهم وهدم قصورهم وحصونهم الاقطاعية وأوجد نظام المأمورين او نظام الملك للتفتيش على شؤون القضاء والمالية والأمن في الأقاليم ، ولالإشراف على الحكام المحليين ، والإشراف على المجالس المحلية البرلمانية وقد خدم المأمورن الملكية الفرنسية خدمة قوية .

استمر ريشليو بالتدخل في الشؤون الاوربية ودخل في صراعات مع اسبانيا وانتصر عليها واجبرهم على توقيع الصلح وحصل على مكاسب جراء ذلك ومد نفوذه في إيطاليا ايضاً ، ونجح ريشليو بسياسته الخارجية وضل يتدخل في الحروب الاوربية ودخل في حرب الثلاثين عام .

توفي ريشليو سنة 1642 وبذلك انتهى عهد لويس الثالث عشر ليبدأ عهد لويس الرابع عشر موضوع محاضرتنا القادمة .

## France under Louis XIV

## لويس الرابع عشر

يقسم عهد لويس الرابع عشر الى ثلاثة أدوار هي :

- 1- مزران 1643-1661 .
- 2- عظمة المملكة 1661-1684.
- 3- الإنحلال 1684-1715.

### أولاً : عهد لويس الرابع عشر في عهد مزران

كان لويس الرابع عشر وقاصراً فتولت الوصاية عليه أمه آن النمساوية، وقد عينت أمه آن مزران وزيراً لها ليخلف ريشيلو الذي كان يحب مزران، ويذكر أن ريشيلو أوصى ان يستلم مزران الوزارة من بعده، ومزران هذا إيطالي وصل الى منصب كاردينال سنة 1641م.

اتخذ مزران ذات السياسية الي اتبعها ريشيلو الداخلية والخارجية، وكان يرى ان تكون الملكية الفرنسية مطلقة، وذات أعتبار كبير في اوربا ومايميز مزران عن ريشيلو هو أن الأخير يغلب المصلحة العامة في حين ان مزران يفضل مصلحته الخاصة، ومع هذا فأن فرنسا وصلت في عهد مزران الى شأن عظيم نتيجة لسياسته الخارجية .

لقد دخلت فرنسا حرب الثلاثين عام في عهد ريشيلو وستمرت في تدخلها بأوربا حتى عهد مزران، وبعد نهاية الحرب استطاعت فرنسا بموجب صلح وستفاليا أن تحصل على الألزاس، وتثبت حقوقها في أسقفيات تول و Metz ومزران.

لقد واجهت مزران مشكلات داخلية كقيام النبلاء برحكات ضد حكم مزران أدت الى القيام باستداد ما فقده في زمن ريشيلو ألا أن الملكة آن ومزران تمكنا من انزال العقوبات الشديدة بالنبلاء .

كما وجه مزران ثورات عرفت باسم ثورة (( الفروند )) فقد ثار الشعب الفرنسي الذي أرهق من شدة الضرائب والإجراءات المالية الصارمة لأن فرنسا كانت قد صرفت أموالها في الحروب الخارجية التي من شأنها تقوية البلاد داخلياً، فأحدثت ضرائب جديدة وبيعت الوظائف والألقاب وكثرت

استدانة الحكومة من الأغنياء فكانت هذه الأعمال قد زادت من بؤس الشعب الفرنسي وأدت بالتالي الى ثورة (( الفروند)).

كانت بداية الثورة سنة 1644 والغاية منها الحد من سلطة الملك المطلقة في البلاد، ويلاحظ هنا تقارب الأحداث بين إنكلترا وفرنسا لأن البرلمان في كليهما حاول تقليص سلطة الملك المطلقة. لقد تصدى مزران للبرلمان فأمر بإعتقال أفراده المعادين للحكومة لكنه أخرجهم لاحقاً بسبب ضغط ثورة الشعب في باريس، واستجاب مزران الى مطالب البرلمان .. وكانت غاية البرلمان الفرنسي أن يؤدي دوراً كبيراً في السياسة البرلمانية من خلال الاشراف على الضرائب وغيرها كما هو الحال بالنسبة للبرلمان الأنكليزي، وقد وقع مزران مع البرلمان صلح سنة 1694 حصل فيه البرلمان على الاشراف على بعض الأمور المالية مقابل تخليه عن الشؤون السياسية .

ثم حدث خلاف آخر بين مزران وبين النبلاء وقادة الجيش حتى أن القائد الفرنسي تورين قرر التعاون مع اسبانيا ضد فرنسا الا انه فشل، وبعد انتهاء فرنسا من حربها مع اسبانيا سنة 1652 تمكن مزران من القضاء على الخلافات الداخلية وبذلك انتهت المرحلة الثانية من ثورات الفروند التي استطاعت ان تبعد البرلمان عن التدخل في السياسة وأعدت للأمورين والنبلاء الى طاعتها .

### ومن أهم أعمال مزران الخارجية :

تعاون مزران مع إنكلترا ضد اسبانيا وقد ارسل الأنكليز جيشاً في زمن كروميل ليحارب مع الجيش الفرنسي ضد اسبانيا التي انهزمت مما اضطرها للصلح وعقد معاهدة البرانس سنة 1659 وبموجب هذه المعاهدة ثبتت فرنسا أقدامها في اللورين وثبتت أقدامها في الأراضي التي حصلت عليها بعد صلح وستقاليا، كما نص الصلح على زواج ابنة ملك اسبانيا ماريا تيريزا من لويس الرابع عشر بعد ان تتنازل عن جميع حقوقها في وراثة العرش في اسبانيا. وهكذا حقق مزران لفرنسا نتائج مهمة من خلال دخوله في حروب مع ال هبسبورك في اسبانيا والنمسا من ضمن الفوائد : ضمنت فرنسا السيطرة على اوربا الغربية، توفي مزران بعد ان قوى الشأن الفرنسي ونشر الأمن داخلياً وأوصل فرنسا الى قمة المد .

## ثانياً : عظمة فرنسا

كان لويس الرابع عشر يؤمن بنظرية الحق المقدس للملوك، أسوة بباقي البلاد الأوروبية، وكن لويس يقول بأن الملك يمثل الأله في الأرض وله سلطة مقدسة من الله ولا يجوز تجزئة هذه السلطة أو التنازل بها عن الغير لأن الله سيسأله عنها، والوزارة هي أداة يختارها الملك لتنفيذ أوامره وليس للشعب أي حق في أن يشترك معه في تأليف الحكومة ويقول كذلك عل بالملك أن يحكم بالعدل والحق، وبهذا فقد حصل لويس الرابع عشر على سلطة مطلقة في فرنسا .

### إصلاحاته الداخلية :

1- تأليف المجالس والهيئات المساعدة من أجل المشورة وتنفيذ أوامره العسكرية والإدارية والقضاء والبحرية ومسائل البروتستانت وذلك يكون ركز السلطات بيده، وكان يختارهم بنفسه.

2- أختار لويس الرابع عشر رجال أكفاء ليعاونوه ومنهم : كولبير رجل المالية ووزير الخارجية فقام الوزير بأصلاحات مالية أدت الى ازدهار الأوضاع الاقتصادية .

3- أنعاش الصناعة الأهلية .

4- رفع الضرائب الكمركية على البضائع الأجنبية، واهتم بإيجاد سوق لتصريف تلك البضائع .

5- أسس شركة الهند الشرقية سنة 1664م.

6- أهتم بوسائل النقل.

7- أنشأ القنوات .

8- أهتم بالبحرية والموانئ.

9- أهتم بالعلوم والفنون.

ونتيجة لخلاف كولبير مع وزير الحربية ووقوف لويس الرابع عشر مع وزير الحربية لاؤوا فقد كولبير نفوذه تدريجياً وتوفى سنة 1683م.

قبل وفاة كولبير المصلح للشؤون الفرنسية بدأت فرنسا تضعف بسبب حروبها الطويلة التي أنهكت شعبها وأفرغت الميزانية وعطلت موارد البلاد، وبسبب أخطاء الملك في سياسته الداخلية من حيث التنظيم الإداري والداخلي .

## ثالثاً: دور الضعف والانحلال

لقد كان من أسباب ضعف وهلاك فرنسا هو اعتماد لويس الرابع عشر على لافو الذي قاد البلاد الى عدة حروب أنهكت البلاد وأفرغت ميزانيته، فضلاً عن وقوع الملك تحت تأثير صديقه (( مدام منتون )) المتدينة الكاثوليكية التي تزوجها بعد وفاة زوجته ماريا تيرزا، لقد كانت منتون متعصبة للكاثوليكية وعن طريقها زاد نفوذ رجال الدين الكاثوليك في الدولة وهذا ما يتعارض مع سياسة الملك الراغبة بالحكم المطلق .. فعقد اجتماعاً سنة 1682م أقر فيه سيطرته الكاملة على الدولة والكنيسة معاً؛ وهذا يعني أقصاء سيطرة البابوية كقوة أجنبية عن فرنسا؛ مما أحدث انقساماً بين الكاثوليك الراغبين بسيطرة البابوية وعلى رأسهم جماعة الجزويت، والى جماعة كاثوليكية معتدلة قالت بالقدرية الكالفنية وقالت بفائدة المجالس الدينية وهؤلاء المعتدلين هم اعداء الجزويت والبابوية والملكية، يتضح هنا أنقسام وتفكك المجتمع الفرنسي، كما ان الهيجونوت فقدوا امتيازاتهم بعد أن ألغى لويس الرابع عشر مرسوم ناننت سنة 1685 وتم طرد جميع البروتستانت من فرنسا وعطلت جميع مدارسهم وهدمت معابدهم، ولقد كان لإلغاء مرسوم ناننت نتائج سياسية واقتصادية وخيمة على البلاد :

- 1- يعد الغاء مرسوم ناننت تصرفاً ارتجالياً من الملك، فقد هاجر مائتان وخمسون الفاً من البروتستانت الى إنكلترا وهولندا وبرندبرج فكانو خسارة لفرنسا ومكسباً للبلاد التي هاجروا اليها فقد نقلوا العلوم والفنون والمعارف والصناعات .
- 2- ضعف الجيش والبحرية بعد هجرة الهيجونوت البروتستانت.
- 3- أثار الإضطهاد الديني للهيجونوت الدول البروتستانتية ضد لويس الرابع عشر.
- 4- الحروب الطويلة التي خاضتها فرنسا أرهقتها من كل الجوانب.
- 5- فرض الضرائب على السكان بالقوة.
- 6- اصدار أوراق نقدية بكميات كبيرة .
- 7- عقد قروض إجبارية مع الأغنياء .

## الحروب التي خاضها لويس الرابع عشر

### 1- حروب الوراثة في الأراضي المنخفضة بين فرنسا واسبانيا

طالب لويس بحكم الأراضي المنخفضة لأن زوجته ماريا ابنة فيليب الرابع مستنداً الى الحق القانوني في الوراثة وفق قانون الوراثة النمساوي؛ لكن يجب أن نعلم بن هذا الادعاء باطل لأن ماريا تنازلت عم حقوقها الوراثة في اسبانيا في صلح البرانس سنة 1659م.

لذلك هاجم لويس الرابع عشر فلندرا في الأراضي المنخفضة وكانت مقاومة اسبانيا ضعيفة فسيطر لويس الرابع عشر على أجزاء واسعة من الأراضي المنخفضة.

هنا خافت الدول الأوروبية من تنامي قوة فرنسا فتمون حلف ثلاثي مكون من هولندا وانكلترا والسويد ضد فرنسا مما اجبر لويس الرابع عشر على عقد صلح سنة 1668 مع اسبانيا وبموجب الصلح ارجع لويس الرابع عشر منطقة فرانس واحتفظ بأقليم فلندرا.

### 2- حرب فرنسا مع هولندا

قرر لويس الرابع عشر الانتقام من هولندا؛ لكونها صاحبة فكرة التحالف ضده اثناء قيامه بحرب الوراثة في الأراضي المنخفضة، فضلاً عن دعم هولندا المستمر للهيغونوت في فرنسا، الى جانب تأييد الملك للحكومات الملكية في اوربا، بالإضافة الى منافسة هولندا لفرنسا في التجارة والبحار. وبالتالي فإن اخضاع هولندا معناه السيطرة على الأراضي المنخفضة الاسبانية أي ( بلجيكا ).

هيا لويس الرابع عشر ظروف الحرب ودخل في عدة معاهدات سرية مع إنكلترا والسويد وبعض أمراء الالمان واندلعت الحرب سنة 1672م وكانت هولندا ضعيفة آنذاك بسبب انشغالها بالتجارة، وسلم الهولنديون زمام الأمور الى وليم أورنج الذي كان ذكياً فقام بمحالفات لإخراج هولندا من عزلتها السياسية فألف حلفاً دعى الى تحالف (( لاهاي الأعظم )) ضد فرنسا كما تصالحت هولندا مع إنكلترا سنة 1674، ونتيجة لإحتدام المعارك تراجع فرنسا وبظروف معينة انتصرت فرنسا براً وبحراً على هولندا وقوات وليم أورنج .

انتهت الحرب بعقد أربعة معاهدات بين فرنسا واسبانيا وهولندا سنة 1678-1679 وتنازلت اسبانيا عن ولاية فرانش كومتيه، واستولت فرنسا على مواقع هامة لتأمين حدودها الشمالية الشرقية مع الأراضي المنخفضة الاسبانية. لقد كان هذا الصلح يمثل قمة الانتصار الفرنسي ولقب لويس الرابع عشر بـ (( الملك العظيم )) ... لكن نتج عن هذه الحروب الطويلة ما يلي :

- 1- انهكت قوة فرنسا .

- 2- خسرت فرنسا صداقة الأمم الصغيرة بعد حربها ضد هولندا النامية .
- 3- قامت الأمم الصغيرة بقيام تحالفات مع بعضها؛ خشية من بطش فرنسا.
- 4- تكون حلف قوي من دول اوربا ضد فرنسا وسياسة لويس الرابع عشر التوسعية وتدخلاته في إنكلترا وألمانيا.

- 5- تكتل وتجمع البروتستانت ضد سياسته الكاثوليكية المتعصبة.
- 6- عقد حلف (( المحافظة البعيدة )) او (( أيجزيرج )) ضد فرنسا الفه وليم اورانج ضم كل من : هولندا و المانيا و اسبانيا و السويد وبفاريا وسوابيا وفرانكورت وسكسونيا والبلاتينات من أجل المحافظة على بنود معاهدتي وستاليا ونمويجن لكن الحلف كان على الهامس بالنسبة للويس الرابع عشر فخاض حرب مع المتحالفين وحققت فرنسا انتصارات متعددة في أماكن مختلفة من الأراضي والبحار.

وفي نهاية المطاف تم عقد صلح (( روزيك )) سنة 1697 وتكون من أربعة معاهدات مع إنكلترا وهولندا وألمانيا واسبانيا واعترف لويس الرابع عشر بوليم أورانج ملكاً على إنكلترا وتنازلت فرنسا عن كل ممتلكاتها في اوربا عدا ستراسبورج.

### 3- حرب الوراثة الاسبانية

كان هم لويس الرابع عشر التفرغ لمشكلة الوراثة الاسبانية لأن شارل الثاني ملك اسبانيا اصبح مريضاً وعلى وشك الموت، وكان لويس الرابع عشر يطالب بعرش اسبانيا لابنة الأكبر من زوجته ماريا تيريزا، الى جانب ادعاء ليوبولد من ال هبسبورج وادعاء جوزيف فريدناند فهؤلاء الثلاثة طالبوا بعش اسبانيا فأصبحت المسألة دولية.

تدخلت إنكلترا في الحرب وتوصلت الى حل وهو أن تقسم أملاك اسبانيا على في لاهاي سنة 1698م الا ان جوزيف فريدناند توفى سنة 1699 فتم إعادة النظر بالتوزيع مرة أخرى، وظهرت على مسرح الأحداث وصية شارل الثاني ملك اسبانيا سنة 1700م تتضمن ان يعتلي العرش حفيد لويس الرابع عشر فيليب انجو من أجل انقاذ اسبانيا من الانقسام والتدافع فوافق لويس الرابع عشر على الوصية .

لكن نتيجة لسياسة المحالفات تعددت الصراعات وتكررت وتشابكت مما أدى بظهور المجاعة في فرنسا وانهزم الفرنسيون امام الحلفاء في عدة معارك لكن لويس الرابع عشر شد من عزمته وكسر الحلفاء سنة 1712 وتم عقد مفاوضات في اوترخت سنة 1713م ومن شروط الصلح ما يلي :

1- الاعتراف بفيليب الخامس ( أنجو ) ملكاً على اسبانيا وان يتنازل عن حقوق في فرنسا.

2- اسولى شارل السادس على بلجيكا ونابولي وميلان وسردينيا.

3- حصلت فرنسا على الالزاس وستراسبورج .

4- اخذت إنكلترا جبل طارق وامتيازات أخرى.

وهناك عدة شروط أخرى ... يلاحظ ان إنكلترا حصلت على حصة الأسد في المستعمرات الاسبانية والفرنسية والأمور البحرية والتجارية، ويلاحظ خروج فرنسا منهكة ..... كل هذه الأسباب أدت الى قيام الثورة الفرنسية فيما بعد .

## حرب الثلاثين عاماً Thirty-year

### war

تعد حرب الثلاثين عاماً حرباً دينية طائفية اندلعت منتصف القرن السابع عشر ( 1618-1648) وكان وازعها ديني لكن الغايات الخفية أكثر فوجد صراعات من أجل المال والتوسع على حساب أراضي جديدة .

إذ هي حرب عاشتها المانيا لمدة ثلاثين سنة نتيجة الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت، شاركت فيها العديد من الدول الأوروبية، وتميزت هذه الحرب بالانتصارات الكاثوليكية على البروتستانت، واختلط فيها العامل السياسي الذي دفع بعض الكاثوليك في دول معينة الى التحالف مع ملوك بروتستانت .

### أسباب قيام حرب الثلاثين عام :

1- ان صلح اغسبرغ الذي عقد سنة 1555 بين الكاثوليك والبروتستانت الالمان لم يضع مبادئ وأسس السلام الدائم بين اغلبية سكان جنوب المانيا الكاثوليك وأكثرية سكانها البروتستانت في الشمال، فحدثت الانقسامات بين البروتستانت انفسهم لأنه أشار الى البروتستانت اللوثريين دون البروتستانت الكلفنيين، بل اهم الكلفنيين بصورة عامة إذ انقسم البروتستانت على انفسهم في الوقت الذي انتعش فيه المذهب الكاثوليكي.

2- لم يضع صلح اغسبرغ سنة 1555 حداً نهائياً للخلافات الكاثوليكية - البروتستانتية لأن الطرفين عدوا ذلك هدنة وليس صلح نهائياً، فعمل الكاثوليك بكل ما أتوا من قوة لإرجاع

البروتستانتين الى الكاثوليكية، فنشط اليسوعيين في تنفيذ مقررات ترنت، كما ثبتوا دعائم الكاثوليكية في بولندا والأراضي المنخفضة التابعة لأسبانيا وفرنسا، وساد المذهب الكاثوليكي في اسبانيا وإيطاليا، مما بعث الأمل في عودة المانيا الى الكاثوليكية، كما نجح البروتستانت بعد توقيع الصلح المذكور على تثبيت مواقعهم بين سكان المانيا الشماليين ونجحوا في نشر مذهبهم في المناطق الجنوبية مثل النمسا .

3- أن نجاح الكاثوليك في وقف انتشار البروتستانتية وإعادة بعض المؤمنين بها الى الارتباط بكنيسة روما نتيجة الإصلاح المضاد قد دفع بعض الأمراء البروتستانت الى انشاء(الإتحاد البروتستانتي) سنة 1608 بزعامة منتخب البلاطين مما أدى الى ولادة اتحاد كاثوليكي مضاد سنة 1609 باسم ( العصابة الكاثوليكية ) .

كل هذه العوامل تهيأت لقيام حرباً طائفية في المانيا، وانقسمت الى أربعة أدوار هي :

**1-الدور البوهيمي 1618-1623م.**

**2-الدور الدنيماركي 1625-1629م.**

**3-الدور السويدي 1630 - 1635م.**

**4-الدور الفرنسي السويدي 1635-1648م.**

### **1-الدور البوهيمي البروتستانتي 1618-1625**

ثارت بوهيميا بسبب ان فريديناند الثاني المعروف بعدائه للبروتستانتية وولائه لليسوعيين سيخلف الامبراطور على عرش فينا وملكية بوهيميا، فكانت ثورة البوهيميون الي بدأت في براغ تتادي برفض تولي فرديناند والمطالبة بفرديريك الخامس ملكاً عليهم كونه بروتستانتي، فبدأ بحملة قمعية ضد الكاثوليك، أما فريديناند فقد سير جيشه للقضاء على الثورة البوهيمية ومغتصب العرش فرديريك الخامس، وقد حظى فرديناند بدعم مالي من البابا وعسكري من اسبانيا وبفاريلا وميلان .. أما فرديريك الخامس قام باستقدام قوات من الاتحاد البروتستانتي للقتال الى جانبه .. ألا أن فريديناند انتصر على فرديريك الخامس في موقعة (الجبل الأبيض) وهرب فرديريك الخامس تاركاً قواته تحت رحمة الجيش الكاثوليكي الذي اجتاح بوهيميا وكان عدد المقاتلين

ما يقارب 50,000 الف مقاتل، وقد اعقب هذا الانتصار حملة بطش وتكيل بالبروتستانت، نتج عنها هجرة آلاف الأسر البوهيمية وتدفق اليسوعيين لتدخل بوهيميا مرحلة الكتلثة .

## 2- الدور الدنماركي 1625-1630

أعلن فريدناند الثاني أن فردريك الخامس مغتصب للعرش، فقرر تشكيل جيش قوي، وقد استدعى فريدناند الثاني شخصية جيكية ثرية اسمه ( والنشتاين ) أبدت استعدادها لإنشاء جيش قوي وكبير دون تكليف للخزينة للوقوف بوجه ملك الدنمارك الذي تدخل سنة 1625 في شمال ألمانيا البروتستانتية لينقل الحرب من شمالها الى جنوبها بإمكانات متواضعة لم تدعمها الدول الأوروبية رغم وعودها السابقة، لذلك انهزم ملك الدنمارك سنة 1626 أمام جيش والنشتاين الذي احتل الأراضي الألمانية الشمالية البروتستانتية لتصبح تحت سلطة الكاثوليك .

لم يكتف والنشتاين بهذه الانتصارات بل تقدم واحتل أراضي دنماركية وتوسع في ساحل بحر البلطيق لتقوية دفاعاته ضد أي هجوم محتمل من السويد ولأستغلال موارد الموانئ بالأنفاق على جيشه وقد قاوم ميناء سترالسند لإذعان لوالنشتاين فحاصره لمدة خمسة أشهر، ومما ساعد الميناء في المقاومة الأمدادات التي كانت تأتيه عن طريق الاسطولين الدنماركي والسويدي، مما اضطر والنشتاين الى رفع الحصار، وقد اقتنع فردنناد بضرورة عقد اتفاق مع ملك الدنمارك قبل تدخل ملك السويد فتم ( صلح لوبك ) 1629 تنازل بموجبه كريستيان عن كل امتيازاته في ألمانيا عدا هولشتاين وتعهد فيه بعدم التدخل في الشؤون الألمانية مستقبلاً، كما استعادت الدنمارك أراضيها التي احتلها والنشتاين، وبذلك ينتهي الدور الدنماركي في الحرب الطائفية الألمانية .

## 3- الدور السويدي 1630-1635

اندفعت السويد بقيادة الملك الشاب جوستاف ادولف لتخوض الحرب ضد الكاثوليك الالمان بعد ان انسحبت الدنمارك ولم يكن الدافع الطائفي وحده هو السبب لدخولها الحرب على الرغم من أهميته، بل كانت هناك عوامل سياسية مهمة ايضاً :

1- الخطر الذي يشكله احتلال جيوش الامبراطور النمساوي لشمال ألمانيا مما يجعل النمسا منافساً قوياً للسويد في بحر البلطيق يهدد مصالحها التجارية والاقتصادية والعسكرية.

- 2- تخوف السويد من هجوم الماني محتمل لفرض الكاثوليكية .
- 3- تأسيس القوة البرية النمساوية في زمن واليشتاين تهدد السويد بشكل مباشر لأن ذلك يتعارض مع أحلام وطموحات ملك السويد في الاستيلاء على شريط من الأرض الساحل الشمالي لألمانيا ليصبح بحر البلطيق بحراً سويدياً .
- زحف جوستاف بقواته الى المانيا سنة 1630 لنجدة مدينة ( مجد برج ) التي كان يحاصرها القائد النمساوي ( تلي ) الذي حل محل والشتاين، وكان يريد تطبيق مرسوم الإعادة، تم التعرض لقوات جوستاف من قبل امير سكسونيا وبرانند نيرج البروتستانتين وحدثت مجزرة رهيبه في سكان براندنبرج حيث ذبح الكاثوليك عشرين الف من الناس وأحرقوا المدينة وتوجهوا الى سكسونيا ووادرك أميرها خطأ فتعاون مع ملك السويد مستنجداً به ولحق به امير براندنبرج .
- حقق جوستاف أول انتصار للبروتستانت في حرب الثلاثين عام في سبتمبر / أيلول 1631 بعد ان اكتسح مدينة ( ليبزج ) وهزم قوات تلي .
- لقد فسح هذا الانتصار المجال الى جوستاف لينتقم نحو ميونخ وحقق انتصاراً كبيراً واندحر وتشتت جيش والنشيتاين أمامه في معركة ( لوتزن ) في تشرين الثاني سنة 1632، لكن بريق هذا النصر خف بسبب مقتل جوستاف على يد ملك السويد، ومن الجدير بالذكر فإن الجيش السويدي .
- خلفت جوستاف طفلة اسمها ( كريستينا ) واصبح هناك وصي على العرش، أراد الوصي ان يحتفظ بما حققه جوستاف من نصر للبروتستانت لكنه عبثاً يحاول، ولم يستطع ملئ فراغ جوستاف إذ اندحر في أول معركة خاضها ضد الجيوش الكاثوليكية في سبتمبر / أيلول 1634 ولم تكن الجيوش بقيادة والنشتاين لأنه عزل بسبب غضب الملك عليه إذ اتهمه بالتواصل بشكل سري مع السويد وفرنسا لإرغام الامبراطور النمساوي فردناند على عقد صلح مع السويد .
- لقد اتهم والنشتاين بالخيانة وأباح الأمبراطور قتله فكان مصرعه على يد جندي ايرلندي كان طامعاً بمكافأة مالية قد وضعت لمن يقتله .

عين الإمبراطور ابنه فريدناند قائداً للجيش وقاتل السويديين وهزمهم في مدينة ( نوردلنجن ) ونتج عن هذه الهزيمة خروج سكسونيا من الحرب، وعقدت صلحاً منفرداً مع الإمبراطور سنة 1635 وحذت حذوها الولايات البروتستانتية الألمانية الأخرى، وسحبت تأييدها من التدخل السويدي، ومقابل ذلك ألغى الإمبراطور معظم بنود مرسوم الإعادة، لتهدئة روع البروتستانت وتأمينهم على حياتهم الاقتصادية، وهكذا تخلى الألمان البروتستانت عن مساعدة من جاء لمساعدتهم.

وهنا قررت فرنسا تلبية طلب الوصي على عرش السويد بالتدخل وأصبح دور فرنسا في حرب الثلاثين إيجابياً بعد أن ظل سلبياً عدة سنوات.

#### **4- الدور الفرنسي السويدي 1635-1648 :**

قرر ريشليو إرسال جيش لمحاربة آل هبسبرج، وهكذا دخلت الحرب دورها الأخير والحاسم، وتوحد البروتستانت والكاثوليك ضد الإمبراطورية الرومانية، وحاربت كل من السويد وفرنسا على الأرض الألمانية، وكان ريشليو يهدف إلى إضعاف سيطرة أسبانيا على الأراضي المنخفضة لأن وجود أسبانيا هناك يعتبر تهديداً دائماً للعاصمة الفرنسية.

وفي سنة 1635م قرر ريشليو مشاركة السويد في الحرب، وكذلك دعم الثوار الهولنديين الذين جددوا حرب الاستقلال، بعد انتهاء هدنة الإثنا عشر عاماً سنة 1621، وقد أصبحت الحرب في هذه المرحلة صراع على السيادة بين آل البوربون وآل هبسبرج بفرعهم الألماني والأسباني.

وتوالى الهزائم على الجيش الألماني، وفي هذه الأثناء مات الإمبراطور سنة 1637 وخلفه ابنه فريدناند الثالث (سنة 1637 - سنة 1657) فدخل في المفاوضات ونتج عنها صلح وستاليا سنة 1648م، وكانت قد تعثرت المفاوضات في البداية، لأنها بدأت أثناء سير المعركة.

#### **لكن أهم شروط المعاهدة تتمثل في :**

- 1- أن يتمتع أتباع كل من ولوتر على السواء بالحرية الدينية.
- 2- أن يحفظ البروتستانت والكاثوليك ما كان في أيديهم من أملاك الكنيسة منذ سنة 1624، وأن تُراعى شروط معاهدة أوجزبرج سنة 1555م، وأنه ليس لأمير الحق في قسر رعيته على أتباع مذهب معين.

3- وأن يبقى في يد فرنسا متر وتول وفردان، وتستولي على جميع الأتاس ما عدا مدينة ستراسبج الحرة.

4- أن تستولي السويد على بوميرانية الغربية وجزيرة روجين وأسقفيتي بريمن وفردان.

5- أن تستولي برندنبرج على بوميرانية الشرقية، ومعظم مجدبرج وأسقفيتي هلبرسات ومندن.

6- أن تُعطى سكسونيا باقي مجدبرج ومقاطعة لوزانيا.

7- الاعتراف الرسمي باستقلال سويسرا وهولندا.

وبعد صلح وستفاليا كادت ألمانيا أن تصبح صحراء قاحلة، فالحروب قتلت أعداداً كبيرة، كما

أن الصلح أخذ منها الكثير من الولايات الحدودية، وكان من نتائج الصلح:

أ. ضعف نفوذ البابا، وكان قد رفض المعاهدة.

ب. انحطاط نفوذ آل هابسبرج.

ج. برزت فرنسا بين الدول الأوروبية.

د. صارت السويد سيده البلطيق وتُعد من ممالك أوروبا العظمى.

هـ. انتهى عصر الإصلاح الديني وفرضت الدول التسامح بين الكاثوليك

والبروتستانت.

بضوء ما تقدم يتبين للطالب بأن الصراع الطائفي في أوروبا خلال القرنين 16 و 17 قد أخرج قيام النهضة في أوروبا، لقد أخرجت وعرقلت الصراعات مسيرة أوروبا الحضارية عدة قرون، ولم تتقدم أوروبا إلا في القرن التاسع عشر .

